

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الوادي



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

الحركة الطلابية المغاربية ودورها في الكفاح الوطني 1900-1950 م
(الجزائر - تونس) دراسة مقارنة

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ

إشراف الأستاذ:

* عثمان زقب

إعداد الطالبة:

سعدية مراد

لجنة القرار والمناقشة:

- | | |
|--------|--------------------------|
| مقررا | 1. أ/ عثمان زقب |
| رئيسا | 2. أ/د. محمد السعيد عقيب |
| مناقشا | 3. أ/ سعيدة عمان |

السنة الجامعية : 1434 - 1435 هـ / 2013 - 2014 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ

وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾

الإهداء

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين محمد صلى الله عليه وسلم .

أما بعد . . . أهدي ثمرة جهدي هذا إلى:

إلى من أوصاني بهما ربي إحساناً، أعز الناس إلى قلبي، أُمِّي وأبي أمدَّ الله في عمريهما ورزقني برَّهما .

إلى سندي طوال مشواري الدراسي أخي الأكبر "يوسف" ، جزاه الله كل خير ، ورضي عنه وأرضاه .

إلى أختي الأعزَّاء مبروك (وأبنائه) ، إبراهيم وعثمان ولحسن، وأخواتي الحبيبات مريم ولطفة والزهرة

(وأبنائهما) ، وزوجات إخوتي الكريمات، حفظهم الله جميعاً وأمدَّ في أعمارهم في رضاه .

إلى زهور البيت وهنائه التوأم المرح : محمد ونور الهدى، وإلى كلِّ عائلتي وأقاربي .

إلى أختي ورفيقة دربي التي شاركني فترة الماستر، وعشناها معاً يُسرَّها وعُسَّرها "صباح" .

إلى كلِّ الزملاء والزميلات ، خاصة دفعة ماستر تاريخ 2014 ، وإلى كلِّ أساتذتنا الأفاضل .

إلى كلِّ صديقاتي بالحَيِّ الجامعي، وأخصَّ بالذكر الفراشات اللآلئ أدخلن على حياتنا المرح والسُّرور، وانتظرن بفارغ الصبر

انجاز هذه المذكرة: "زينب - زهور - صبرينة - فاطمة" .

وإلى مُصلَّانا الحبيب (مصلَّى أُمنا عائشة رضي الله عنها) الذي جُبلت رُوحِي على حبِّه ، وسكن فؤادي بقربه، وإلى كلِّ

مُريداته والسَّاعيات من أجل أن يبقى واحة للخير والعطاء ، وخاصةً لؤلؤة المصلَّى: (نسرين) ، ورشيدة، عواطف دعاء،

سكينة، فائزة، حليلة، مباركة، أم الخير

وإلى كلِّ عمَّال وعاملات الإقامة الجامعية للبنات 1000 سرير الجديدة .

إلى أغلى بلد ارتوى ثراه بدماء الشهداء جزائرنا الحبيبة، رعاها الله .

إلى كلِّ الشُّعوب التي ما زالت تضحِّي من أجل الحريَّة، وتدفع مهرها غالياً، عجل الله نصرهم وأزال همَّهم .

سعدية

شكرو عرفان:

قال تعالى: ﴿وَلئنْ شكرتم لأزيدنكم﴾ إبراهيم . الآية ٥٧.

أشكر الله العليّ القدير وأحمده على أن وفقني

وأعاني على إتمام هذا العمل

فاللهم لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا

كما أتقدم بالشكر والامتنان إلى:

الأستاذ المشرف: عثمان زقب على ما قدمه لي من نصيح ومساعدة .

الأستاذ أحمد بالعجال الذي زودني بالكثير من الكتب النادرة

وتحمّل من أجلنا مشقة

البحث في تونس، سائلة المولى عز وجل أن يحجزه خير الجزاء .

والدكتور محمد السعيد عقيب الذي لم يبخل عليّ بالنصح والإرشاد .

وإلى كلّ عمّال المكتبات (دار الثقافة، زاوية سيدي سالم) .

والشكر موصول لكلّ من ساعدني من قريب أو بعيد، وأسأل الله أن يجعل

ذلك في ميزان حسناتهم .

كما لا أنسى أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل عمّال مكتبة حنكة .

القدمة

إنّ الدّارس لتطور القضيتين الجزائرية والتونسية خلال النّصف الأوّل من القرن العشرين، يجد فيها حضوراً قوياً لإسهامات النّخبة الجموعية والشبّانية في خضمّ الأحداث التاريخية التي مرّ بها البلدين، وبروز الكثير من المثقفين والمفكرين الذين كان لهم نشاط معتبر، سواء كان ذلك بشكل فردي أو مُهيكل داخل التنظيمات الطلابية التابعة لمؤسسات التعليم الرّسمية أو الحرّة.

ويعدّ البحث في تاريخ الحركة الطلابية، محاولة للتعمّق في الجذور الثقافية والسياسية لهذه النّخبة وتتبع تطوراتها، والوقوف عند أهم المحطات التي مرّت بها ومعرفة أهمّ مواقفها وأدوارها وتصوراتها للقضايا الوطنية لبلدانها، ابتداءً من الفترة التي تلت الحرب العالمية الأولى بشكل خاص، ومنه جاء عنوان مذكرتنا الموسومة بـ: **الحركة الطلابية المغربية ودورها في الكفاح الوطني (1900-1950م)** واتخذنا الجزائر وتونس أنموذجاً للمقارنة.

1- إشكاليات الموضوع:

في إطار معالجتنا لهذا الموضوع حاولنا الإجابة على بعض التساؤلات والإشكاليات، أمّا عن الإشكالية الرّئيسية فهي:

- ❖ إلى أي مدى ساهمت الحركة الطلابية في القضايا الوطنية لبلدانها (الجزائر وتونس) وفيما تتمثل نقاط التشابه والتباين في النضال الطلابي بالبلدين؟
- ❖ وضمن هذه الإشكالية الرّئيسية نطرح التساؤلات الفرعية التالية:
- ❖ ما هي عوامل وظروف ظهور الحركة الطلابية في كلّ من الجزائر وتونس؟ وما أبرز المنظمات الطلابية بالبلدين؟
- ❖ فيما تمثّلت توجهاتها ومشاربها؟ وكيف كان تأثيرها على العمل الطلابي؟
- ❖ هل كان للحركة الطلابية مواقف من الأوضاع داخل بلدانهم؟
- ❖ وإلى أي مدى انخرطت الحركة الطلابية في الحياة السياسية وما موقف الإدارة الاستعمارية منها؟
- ❖ فيما تتمثل نقاط التشابه وأوجه الاختلاف في مختلف المحطات التي مرّ بها النضال الطلابي بالجزائر وتونس؟

2- حدود الدراسة:

حصرنا مجال دراستنا على الجزائر وتونس واتخذناهما أنموذجاً للمقارنة نظراً للقرب الجغرافي بين البلدين، وتشابه الظروف العامة بهما، أما عن المجال الزمني فهو ما بين 1900-1950م، وقد اخترنا هذه الفترة لأنها شهدت حراكاً سياسياً وزخماً مطلبياً بالبلدين.

3- أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في أنّ للحركة الطلابية، دوراً هاماً في مسار الأحداث التي عاشتها بلدانهم، كما تعتبر شريحة الطلبة (بمختلف توجهاتها) هي المُمَوّن الأساسي للحركة الوطنية، ففي كنفها تربي أشهر الزعامات والقادة الذين قادوا النضال السياسي سواء في الجزائر أو تونس، ومنها تخرّج الكثير من صنّاع القرار . وما يزيد الموضوع أهمية، هو تناوله بطريقة المقارنة التي تعطي الموضوع حيوية أكثر وتضفي عليه المتعة، والرغبة في التعرف على نقاط التقاطع والتباين بين الحركة الطلابية في الجزائر وتونس.

4- دوافع اختيار الموضوع : هناك عدّة دوافع أدّت بنا لاختيار الموضوع منها:

- ❖ أهمية الموضوع ومتعة البحث والتوسّع فيه .
- ❖ النقص الموجود في الدّراسات المقارنة في ما يتعلق بنشاطات الحركة الطلابية المغاربية.
- ❖ الرغبة في معرفة مدى فاعلية الحركة الطلابية في الجزائر وتونس ورصد مواطن التشابه والاختلاف بينهما لذلك جاء الموضوع في شكل مقارنة .

5- المناهج المتبعة: أمّا عن المناهج المتبعة فهي متنوعة وعديدة :

استخدمنا المنهج التاريخي بشكل كبير في المدخل لأنه مناسب لوصف الوضع التعليمي في الجزائر و تونس، كما استعملنا المنهج الاستنتاجي والمقارن في آخر كل مبحث أو فصل وكذا المنهج السّردي وذلك في كل مراحل البحث وأجزائه، وأرفقنا كل ذلك ببعض الإحصاءات خاصّة في المدخل لتقديم نسب الطلبة والتلاميذ في الجامعات والمدارس.

6- أهم المصادر والمراجع ونقدها:

أولاً- المصادر:

أ- الجزائر: اعتمدنا على عدّة مصادر منها : كتاب الشاب الجزائري لمؤلفه فرحات عباس الذي استفدنا منه في معرفة أحوال الطلبة الجزائريين بالجامعة الفرنسية وعددهم، وكذا تعامل الإدارة الفرنسية معهم باعتباره أحد أولئك الطلبة. وكتاب آثار الشيخ الإبراهيمي بعدّة أجزاء، حيث أخذنا منه عدّة معلومات، خاصة فيما يتعلق الأمر بجمعية العلماء المسلمين وطلبتها بالجزائر وتونس. وعن المصادر الفرنسية فأهمّها :

❖ Ben youcef Ben khaddah: Les Origines de 1^{er} novembre 1954 .

والذي استفدنا منه عند الحديث عن مكانة اللغة العربية قبل وبعد الاحتلال.

ب- تونس: أهمّها: كتاب تونس الشهيدة لعبد العزيز الثعالبي الذي يفصّل في الوضع التعليمي بتونس قبل وبعد فرض الحماية، وكتاب أليس الصبح بقريب - التعليم العربي الإسلامي لصاحبه محمّد الطاهر بن عاشور، وهو مهم جدا بالنسبة لوصف التعليم الزيتوني وأحواله ونشاطات الطلبة وجمعياتهم في جامع الزيتونة، لكن يجب الحذر منه عند حديثه عن إضرابات الطلبة الزيتونيين لأنه كان من معارضيه أحياناً. وكتاب الطاهر الحدّاد، التعليم الإسلامي وحركة الإصلاح في جامع الزيتونة، ومحتواه مفهوم من عنوانه، وكذا كتابه امرأتنا في الشريعة والمجتمع الذي أثار جدلاً كبيراً آنذاك. كما نعتبر بعض المقالات المستمّدة من المجلة الزيتونية من أهم المقالات المصدرية في تاريخ تونس.

وبالنسبة للفرنسية فهناك عدّة مصادر أهمّها: أعمال مؤتمر شمال أفريقيا المنعقد بباريس

سنة 1908م "Congrès de L'Afrique de Nord"، ومداخلات عدّة شخصيات تونسية فيه بخصوص التعليم والمرأة.... في تونس.

ثانياً- أهم المراجع:

أ- الجزائر:

كتاب هجرة "الجزائريين نحو أوروبا " لكمال مازيغي وحسن عبد اللاوي، وهو مرجع مهم استقيناه منه الكثير من الإحصائيات والمعلومات لنسب التعليم في الجزائر، وكذا التنظيمات الطلابية الجزائرية في فرنسا، وكتاب الحركة الطلابية الجزائرية (1871-1962) لعبد الله حمّادي الذي استفدنا منه بصفة خاصة في توجّهات الحركة الطلابية ومشاربها، وكتاب غي برفيلي: النخبة الجزائرية الفرانكفونية (1880-1962) وهو كتاب بالغ الأهمية حيث يفصّل في كل ما يتعلق بالطلبة الجزائريين في الجامعات ومنظماتهم ونشاطاتهم وتوجّهاتهم. واستعملنا بعض المذكرات التي كان من أهمّها: مذكرة دكتوراه لأحمد مريوش: الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في القضية الوطنية وثورة التحرير 1954، وهي مذكرة مهمة جداً بالنسبة للموضوع.

ب- تونس:

الزيتونة والزيتونيون في تاريخ تونس المعاصر (1883-1956) لمختار العياشي: وهو مرجع مهم جداً يفصّل في أحوال الطلبة الزيتونيين ونشاطاتهم، ومساهماتهم في القضية التونسية. كتاب تونس عبر التاريخ، ج3، الحركة الوطنية ودولة الاستقلال، لمجموعة من الأساتذة حيث يهتم هذا الكتاب بالنشاطات الجمعوية والطلابية التونسية ودورها في القضية التونسية. وكذا أعمال الندوة 11 حول الزيتونة سنة 2002 م.

7- الصّعوبات:

وإن كان لابدّ من ذكر الصّعوبات التي واجهتنا فأهمّها كون الموضوع صيغ بشكل مقارنة وبالمقابل هناك عدم توازن في الحصول على المادة العلمية، فإذا توقّرت في عنصر ما في الجزائر مثلاً، نجدّها نادرة بخصوص تونس والعكس صحيح، ممّا يصعّب عملية المقارنة إضافة إلى ضيق الوقت المخصص للمذكرة.

8- خطة البحث : لقد تمّت دراسة الموضوع وفق خطة مقسّمة إلى مدخل وفصلين:

حيث حاولنا فيه إعطاء صورة عامة على الوضع التعليمي بالبلدين لمعرفة البيئة التي نشأت فيها الحركة الطلابية والصعوبات والتحديات التي واجهتها.

الفصل الأول بعنوان: الحركة الطلابية -عوامل ظهورها وأهم توجهاتها، وينقسم إلى ثلاث مباحث، وفي كل مبحث نتحدّث عن الجزائر ثمّ تونس، فالمبحث الأول بعنوان عوامل وظروف ظهور الحركة الطلابية، والثاني أهمّ التنظيمات الطلابية، والثالث حول مشاربها واتجاهاتها الفكرية، ثمّ حاولنا المقارنة في نهاية الفصل والتعليق حول ما تشابه، وما اختلف بين الجزائر وتونس .

ثمّ الفصل الثاني: بعنوان النضال الطلابي وموقف الاستعمار منه، حاولنا فيه توضيح الدور الطلابي في الحياة السياسية ومواقفهم من الظروف التي تمرّ بها بلدانهم ، وكذا الرد الاستعماري عليهم.

فالمبحث الأول: جاء بعنوان مواقف الحركة الطلابية من الوضع الثقافي والاجتماعي لبلدانها والمبحث الثاني بعنوان الدور السياسي للحركة الطلابية، والمبحث الثالث بعنوان موقف الإدارة الاستعمارية من النشاطات الطلابية، وتعقبها مقارنة لما سبق تناوله في الفصل ثمّ خاتمة تضمّنت العديد من الاستنتاجات.

وفي الأخير، لا نزعّم بأنّ هذا العمل كامل لا يعتريه الخطأ والنقصان، بل هو عمل بشري معرّض لكل ذلك، كما نتمنّى أن يكون مساهمة مقبولة للكتابة في هذا الموضوع، ومرجعا مفيدا للباحثين فيه لاحقا.

المدخل

الوضع التعليمي بالجزائر وتونس خلال النصف الأول

من القرن العشرين (1900-1950)

أولاً- الجزائر

ثانياً- تونس

قبل التطرق إلى موضوع الحركة الطلابية بالجزائر وتونس، وظروف ظهورها وتوجهاتها والخود في دورها الوطني، يتوجب علينا معرفة الوضع التعليمي قبيل وخلال فترة الدرد (1920-1950)، وذلك من أجل الإطلاع على البيئة والظروف التي نشأت فيها الحركة الطلابية واستنتاج التحديات التي واجهتها في كلا البلدين.

أولاً- الجزائر:

قام الاحتلال الفرنسي منذ دخوله إلى الجزائر، بالاستيلاء على المراكز الثقافية والمدارس والمدارس والمساجد، وقد وصف المؤرخ "Maurice wahl" الوضعية المأساوية التي أصبحت المأساوية التي أصبحت عليها المراكز الثقافية بالجزائر غداة الاحتلال قاطلاً... لقد بدأنا بتخطيط بتخطيط شبه كلي للمدارس الابتدائية، والزوايا والمدارس الإسلامية الأخرى التي كانت موجودة قبل موجودة قبل 1830م...>¹.

خلال النصف الأول من القرن العشرين كان هناك شريحتين من صفوف الطلبة بحسب التقسيم بحسب التقسيم الاجتماعي السائد وقتئذ، إذ تمثل الفئة القليلة التي ساعفها الحظ في مزاولة الدراسة الدراسة النظامية بالمدارس الابتدائية والإعدادية أو بالمعاهد العليا والجامعات في أوروبا وبالخصوص في باريس، أما الفئة الثانية فتمثل عامة الشعب والتي كان نصيبها من التعليم بين جدران بين جدران الزوايا والكتاتيب القرآنية، وهذه المجموعة تمثل أكثرية الطلبة، لكن القليل منهم من من واصل التكوين بالجامعات والمعاهد العربية والإسلامية إذا يتبين لنا من خلال ما سبق أنه كان في الجزائر نوعين من التعليم الأول فرنسي والثاني تعليم عربي حر وسنتناول كل على حدا:

أ- التعليم الفرنسي:

لقد وقع اختلاف في الأوساط الاستعمارية حول التعليم الذي يجب أن يتلقاه الجزائريون، فنجد الجزائريون، فنجد من يرفض تعليمهم تماماً خوفاً من تشكل وعي وطني لديهم، ومنافسة المعمرين في

¹ - قريشي محمد، الأوضاع الاجتماعية للشعب الجزائري منذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلى اندلاع الثورة التحريرية الكبرى 145-1954م (مذكرة ماجستير)، مخطوطة، جامعة الجزائر 2001-2002، ص ص 116 - 117 .

² - أحمد مريوش، الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في القضية الوطنية وثورة التحرير 1954، (مذكرة دكتوراه)، مخطوطة، جامعة الجزائر، 2005 - 2006، ص 23 .

المعمرّين في امتيازاتهم، كما رأى البعض الآخر إمكانية إعطائهم تعليمًا محدودًا أهدافه تأهيل الجزائريين لخدمة المعمرّين والاقتصاد الاستعماري، بينما طالب البعض بتعليمهم تعليمًا فرنسيًا كاملاً فرنسيًا كاملاً من أجل خدمة الفرنسيين¹

إذا ففتح التعليم أمام الأطفال الجزائريين، لم يكن يندرج ضمن سياسة تنمية المنظومة التعليمية التي كانت موجودة بل حدث ذلك في سياق سياسة استيطانية ولإعطاء فكرة دقيقة عن التطور البطيء لتعليم الجزائريين، يتعيّن ذكر بعض الإحصائيات:

بالنسبة للتعليم الابتدائي بلغ عدد التلاميذ الجزائريين بالمدارس التابعة للسلطة الفرنسية سنة 1908 إلى 33.400 تلميذ، وارتفع سنة 1914 إلى 47.200 وإلى 68.000 تلميذ سنة 1930 وإلى 110.000 تلميذ سنة 1944م، وأمّا التعليم الثانوي، فقد مرّ هو الآخر الآخر بنفس وتيرة التطور حيث بلغ عدد الجزائريين المسجلين في مؤسسات هذا التعليم سنة 1908 إلى 180 تلميذ سنة 1910 وارتفع سنة 1914 ليبلغ 386 تلميذ، وهذا ما نتج عنه فيما بعد ارتفاع عدد الناجحين في امتحان البكالوريا، حيث بلغ عددهم 100 ناجح سنة 1914، 1914، وحوالي 350 ناجحاً سنة 1954م، فقد أدى هذا التطور البطيء لنشر التعليم في أوساط أوساط الجزائريين عبر مختلف الأطوار التعليمية إلى تأخر دخولهم إلى مرحلة التعليم العالي، فقد العالي، فقد كانت نتائج فتح جامعة الجزائر سنة 1909 ضعيفة في مجال تعليم الجزائريين²

يقول فرحات عباس الذي كان طالباً في الكلية المختلطة للطب والصيدلة بالجزائر في هذا في هذا الموضوع: >>... لا أدري كيف كنّا من حملة البكالوريا، وفي التعليم الذي تلقيناه هناك هناك نقائص... هذا موجود بالتأكيد... لقد دُعينا إلى تحصيل معارف بلغة ليست لغة طفولتنا ومن ومن الطبيعي أن نقابلنا صعوبات لم يكن رفاقنا الفرنسيون يلقونها... يضاف إلى هذه النقائص

¹ - رابح لونيسي، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف (1920-1954)، ط01، كوكب العلوم للنشر، الجزائر، 2009، ص406.

² - كمال علي مازيغي، حسن عبد اللاوي، هجرة الجزائريين نحو أوروبا ، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ص ص27-28.

مدخل: الوضع التعليمي في الجزائر وتونس خلال النصف الأول من القرن 20 م (1900-1950)

النقائص المتعددة جهل الأولياء... وبالرغم من هذا فقد توصلنا إلى أن نكون تلاميذ متوسطين¹...>< متوسطين...<ل>

ويُضيف >>... وفي الكلية كان من الخمسين طالبا مُسلما، ستة رفاق حصلوا على شهادة الدروس العليا في الرياضيات العامة وفي الفيزياء العامة.. ويوجد هؤلاء الطلبة اليوم في باريس لإعداد شهادة التبريز .. غير أننا لم نكن إلا خمسين طالبا مُسلما، فلو أنّ الاستعمار أراد لـ 05 آلاف من بينهم 600 في العلوم الدقيقة....><.

>>... إنّ الدراسة الثانوية التي هي قاعدة التعليم العالي، لا يُمكن الدخول إليها إلا لأبناء عدد قليل من الأغنياء، أو لمن يحصلوا على منحة من الحكومة العامة...><

وبجامعة الجزائر كان عدد الطلبة الجزائريين سنة 1916م 61 طالبا و 100 طالبا سنة 1925، و 147 طالبا سنة 1940، و 360 طالبا سنة 1945، وانخفض إلى 227 طالبا سنة 1946، ليعود الارتفاع بعد ذلك حيث بلغ 44 طالبا سنة 1951³.

وخلال الموسم الجامعي 1935-1936م، كان في التعليم العالي 171 طالبا جزائريا، ففي جامعة الجزائر العاصمة كان هناك 18 جزائريا من أصل 55 طالبا، وفي قسنطينة 20 طالبا طالبا جزائريا من أصل 70 طالبا، وفي تلمسان 12 جزائريا من أصل 47 طالبا⁴.

وفوق كل ذلك كان هناك تمييز بين تدرس الجزائريين والأوروبيين، فهناك تعليمان ابتدائيان، أحدهما خاص بالأوروبيين وهو إجباري وثانيهما أهلي ليس إجباريا، وكان هناك فرق هائل فرق هائل بين نسبة المتعلمين الأوروبيين والجزائريين، فخلال السنة الدراسية 1936-1937 في 1937 في التعليم الابتدائي كان هناك 82461 من الذكور و 73573 من الإناث الأوروبيين، ويقابلهم من الأهالي 18771 من الذكور، و 7645 من الإناث⁵.

¹ - فرحات عباس، الجزائر من المستعمرة إلى الإقليم، الشاب الجزائري، 1930م، تر: أحمد منور، الجزائر، 2007، ص 66.

² - فرحات عباس، المصدر السابق، ص ص 67 - 68

³ - مازيغي، عبد اللاوي، المرجع السابق، ص 29

⁴ - Le beau , Exposé de la situation de l'Algérie En 1936, ancienne imprimerie victor heintez , Alger, 1937, P34. (01) ينظر: الملحق رقم

⁵ - عبد الحميد زوزو، الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين (1919 - 1939)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص 49. ينظر: الملحق رقم (02)

وكان كل تلميذ جزائري واحد مقابل 04 فرنسيين في طور الإعدادي، أما في الثانويات الثانويات والمعاهد فتلميذ جزائري مقابل 06 فرنسيين، وفي شهادة البكالوريا تلميذ جزائري واحد واحد مقابل سبعة فرنسيين ناجحين¹

وأما التعليم الثانوي والعالي فقد كان حظ الشبان الجزائريين منهما قليلا، لأسباب منها أن منها أن التعليم الابتدائي الأهلي كان لا يؤدي إلا إلى دراسات تكميلية خصصت لتكوين المعلمين وصغار المعلمين وصغار الموظفين، وكذا المصاعب المالية لذا نجد أغلب من يواصلون دراستهم من أبناء أبناء العائلات الغنيّة -كما أسلفنا- وقد كان عدد الطلبة الجزائريين في فرنسا فكان نحو 35 طالبا سنة 1930².

وفيما يتعلق بالتعليم الفني، هناك في الجزائر مدرسة للتعليم الفني الزراعي ببلدة الحراش فيها 381 تلميذا من بينهم 75 فقط من المسلمين، أما التعليم الصناعي والتجاري، فلهما فلهما كذلك بعد المدارس القليلة ويكاد يكون العنصر الجزائري مفقودا³

لقد كانت الفرنسية والتنصير والإدماج من أهم الأهداف المسطرة للتعليم الفرنسي، ولأن ولأن التاريخ والجغرافيا تعتبران من المواد ذات الإستراتيجية الخطيرة في بناء الكيان القومي القومي والوطني، فقد تركزت عليهما جهود الاحتلال بالتشويه والتزوير، فالأطفال الجزائريون في الجزائريون في المدارس الفرنسية يدرسون في مادة التاريخ >> كانت بلادنا قديمة تسمى بلاد الغال بلاد الغال وأجدادنا يسمون الغاليين مثلما كان يدرس التلميذ الفرنسي⁴

ب. التعليم العربي الحر: يتميز هذا التعليم بأنه ذو طابع ديني ولغوي في الغالب، مع شيء من من التاريخ والجغرافيا والعلوم والرياضيات، وهو عربي في لغته قومي في مناهجه، وطني في أغراضه في أغراضه وأهدافه وقد مرّ هذا النوع من التعليم بطورين متميزين: الطور الأول قبل ظهور جمعية ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والثاني بعد تكوينها سنة 1934⁵.

¹ - عبد الله حمادي، الحركة الطلابية الجزائرية (1871-1962) مشارب ثقافية وإيديولوجية، ط02، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1955، ص23.

² - عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص49

³ - أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 2001، ص147، للمزيد انظر:

- Bulletin officiel de l'enseignement public, janvier 1910, N°01, imprimerie française n Tunis, p55.

⁴ - Ben Youcef ben Khedda, Les origines du 01^{er} Novembre 1954, Editions dahlab, Alger, p 35.36.

⁵ - رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص255.

ففي الطور الأول: كان التعليم العربي غالباً ما يكون في الزوايا، حيث يكتفون بتحفيظ القرآن القرآن الكريم على ظهر قلب، وكذا الفقه والسيرة النبوية والنحو وبعض من المنطق والفلك والحساب والحساب كما أنهم يعتمدون على بعض الكتب مثل كتاب ابن عاشر، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني في القيرواني في الفقه المالكي¹.

كما كانت هناك بعض المجهودات التعليمية التي يقوم بها بعض الأفراد والهيئات وكان كل فرد وكان كل فرد أو هيئة لها مدرسة أو كتاب تُعلم بطريقة خاصة بها، وتستعمل كتب خاصة ومغايرة لبعض ومغايرة لبعض الهيئات الأخرى حتى ولو ضمتهم نفس² المنطقة

وقد بدأ ابن باديس حركته التعليمية قبل الحرب العالمية الأولى، ولكنه توقف عن ذلك بعض ذلك بعض الوقت خلال الحرب، واستأنفها³ بعدئذ يُدرس في العديد من المساجد مثل المسجد الكبير المسجد الكبير سيدي قموش، وسيدي عبد المؤمن، الجامع الأخضر، سيدي فتح فكان يُعلم الصغار والكبار الصغار والكبار ابتداء من صلاة الفجر حتى صلاة العشاء، فوجاً بعد فوج، وقد بدأ تعليمه للصغار في للصغار في المسجد أولاً، ثم لما تزايد العدد وكثر، ولم يعد المسجد قادراً على استيعابهم انتقل إلى انتقل إلى تأسيس وفتح المدارس الحرة⁴

الطور الثاني: ويبدأ بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م، حيث حيث شهد التعليم العربي قفزة نوعية بفضل الجهود التي بذلتها الجمعية في هذا الميدان وقد حاولت حاولت الجمعية وإصلاح التعليم من مختلف الجوانب إذ يقول الشيخ البشير الإبراهيمي>>.. إن الإصلاح إن الإصلاح العلمي هو ناحية من نواحي الإصلاح الكثيرة التي يجب أن تعطىها جمعية العلماء المسلمين العلماء المسلمين فضل اهتمام واعتناء، ولو لم يحدث من الحوادث ما جعل اتجاه الجمعية إلى الإصلاح الإصلاح الديني أقوى لكان الإصلاح العلمي أول ما تعالجه....<<

¹ - رابح لونيسي، المرجع السابق، ص415.

² - رابح تركي، المرجع السابق، ص255.

³ - أبو القاسم يعد الله، أفكار جامحة، ط02، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 2005، ص93.

⁴ - عبد الرشيد زروقة، جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر (1913-1940)، ط01، لبنان، 1999، ص ص 167-170.

⁵ - محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، ج 01 (1929 - 1940)، جمع وتّق: أحمد طالب الإبراهيمي، ط01، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1997، ص144.

فمن ناحية إصلاح أساليب التعليم المسجّهي المدرسي² فقد كان الإصلاح في النوع الأول فقد النوع الأول فقد وُجه للاعتناء بالمعاني والنفوذ إلى الصّميم من أقرب الطرق، وفي النوع الثاني كانت الثاني كانت الجمعية تعهد إلى الأساتذة الذين يعلمون في سلك مدارسها بتلقين التلاميذ أبسط القواعد القواعد في أسهل التراكيب والإكثار من التمارين التطبيقية وتشجيع الدارسين على الخطابة وارتجال وارتجال الحديث في شتى المواضيع بقصد تكوين الدعاة والمُصلحين

أمّا من ناحية الكتب المدرسية فقد حرصت الجمعية على انتقائها من أمهات كتب التراث التراث الإسلامي والعربي والكتب الحديثة التي كانت مقرّرة في مختلف المدارس، سواء في مصر أو مصر أو لبنان، وحتى تونس والمغرب في بعض الأحيان، مع إدخال بعض التعديلات عليها بهدف جعلها بهدف جعلها متماشية مع الخصوصية الجزائرية⁴

ولم تتوقف الحركة العلمية عند الجمعية مع وفاة مؤسسها عبد الحميد بن باديس، فبعد الحرب الحرب العالمية الثانية، وخروج الشيخ الإبراهيمي من السجن في 1946م، نظم مؤتمر بالعلمة بالعلمة دعا إليه جميع معلمي المدارس الحرّة على المستوى الوطني من أجل افتتاح المدارس واستئناف واستئناف التعليم، وأكثر من الرحلات بين الولايات الجزائرية من أجل تشجيع ذلك وقد كلّلت جهوده جهوده بالنجاح حيث تمكّن من تأسيس معهد عبد الحميد بن باديس في قسنطينة وقد تمّ افتتاحه للتعليم افتتاحه للتعليم في أواخر شهر نوفمبر 1947م، وارتبط المعهد بالجامعة الزيتونية، ووجد مناهجه مناهجه مع مناهجها واعتبار شهادته الأهلية معادلة لشهادتها تخوّل الطلاب متابعة بقية المراحل المراحل الدراسية فيها أو في معاهد الشرق العربي⁵، وبهذا يكون العمل المدرس الذي قام به

¹ - التعليم المسجدي: يتشابه مع نظام تعليم المعاهد الإسلامية كالزيتونة والقرويين والأزهر، يدرس هذا النمط من التعليم بمجموعة من التلاميذ صاروا فيم بعد معاوني الشيخ عبد الحميد بن باديس في التدريس، ينظر: محمد بهي الدين سالم، ابن باديس، فارس الإصلاح والتنوير، ط01، دار الشروق، مصر، 1999، ص109.

² - التعليم المدرسي: وهو ذو صبغة دينية لغوية، وقد أقبل عليه نوعان من التلاميذ، الأول الأطفال الذين يدرسون في المدارس الفرنسية ويستريدون بالعربية والقرآن الكريم، والثاني الأطفال الذين لم يلتحقوا بالمدارس الفرنسية، ينظر: محمد بهي الدين سالم، المرجع السابق، ص109.

³ - رابح تركي، المرجع السابق، ص ص 258-260.

⁴ - رابح لونيسي، المرجع السابق، ص ص 408-409.

⁵ - علي مرحوم، الذكرى 15 لوفاة الشيخ الإبراهيمي، مجلة أول نوفمبر، ع43، الجزائر، 1980، ص23-24.

الإصلاحيون بالغ الأهمية لعدة اعتبارات، من حيث سعته وبُعده الثقافي، فقد كان يرمي إلى تصحيح ما تصحيح ما أمكن من الوضع الثقافي رغم العقبات المتنوعة التي واجهتها

وقد شهدت الجزائر منذ مطلع القرن 20م، هجرات طلابية محدودة توجهت بصورة خاصة نحو جامع خاصة نحو جامع الزيتونة، ولم تكن هناك بعثات طلابية منظمة حينها سوى بعثات الطلاب المزابيين المزابيين الإباضيين التي أخذت تتوافد إلى تونس بصفة منظمة منذ 1914م².

وكان الشيخ ابن باديس نفسه قد ذهب في رحلة علمية إلى تونس سنة 1908م، وعندما رجع إلى رجع إلى الجزائر سنة 1912م قام بعدة جولات في أنحاء البلاد انتهت بتنظيم بعثات علمية لمتطوعين لمتطوعين من أجل الدراسة في الزيتونة

وقد وصلت أول بعثة من هذه البعثات التعليمية سنة 1913م، إلا أن ظروف الحرب العالمية العالمية الأولى اضطررتهم للعودة إلى بلادهم إلى أن انتهت الحرب، واستأنفت هذه البعثات طريقها إلى طريقها إلى تونس وكانت منتقاة من أفاضل الدارسين أمثال مبارك الملي، والعربي التبسي والسعيد والسعيد الزاهري⁴، وعبد السلام القسنطيني، وهم الذين تخرجوا بين سنتي 1924-1925) فهؤلاء هؤلاء مثلوا طليعة المتخرجين وساهموا أدبيا وفكريا في مجال الكتابات الصحفية والتجمعات العلمية⁵.

¹ - علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، من 1925 إلى 1940م، بحث في التاريخ الديني والاجتماعي، تر: محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص 412-413.

² - خير الدين شترة، إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية (1900 - 1939)، دار البصائر، 2009، ص 199.

³ -Jamel Haggui, *Les Algériens Originaires du Sud dans la ville du Tunis pendant l'époque coloniale (1881-1956), Mozabites, Souafas, et Ouarglias*) mémoire de D.E.A, Université de manoba, tunis 2003-2004, P87.

⁴ - السعيد الزاهري: ولد محمد السعيد الزاهري ببسكرة سنة 1900 على الأرجح، ولمّا بلغ السابعة من عمره دخل إلى الكتب القرآني، وحفظ القرآن، وبعض مبادئ الفقه واللغة، ثم تابع دراسته على يد علماء قريته وبعد ذلك انتقل إلى قسنطينة ليتعلم في المدرسة الباديسية، ثم انتقل إلى جامع الزيتونة سنة 1917 وتخرج منه سنة 1924م، وهناك نشط كثيرا في مجال الصحافة، الذي مارسه عندما عاد إلى الجزائر، ويعتبر من أهم رجال الإصلاح في الجزائر، ينظر: أحمد بلعجال، الخطاب الإصلاحية عند الشيخ محمد السعيد الزاهري ، (رسالة ماجستير)، مخطوطة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005-2006، ص ص 2-8.

⁵ - خير الدين شترة ، المرجع السابق، ص 200 في الموسم الدراسي 1938 - 1939 وصل عدد الطلبة الجزائريين إلى 170 طالبا، منهم 145 من قسنطينة و 20 من الجزائر العاصمة، و 05 من وهران ينظر:

- Mustapha Kraiem , *mouvement national et front populaire – la tunisie des années trente* , tome 02, imprimerie officielle de la république tunisienne , 1996; p95.

أمّا فيما يخص البنات، فلم يكن لهن حظا كبيرا من التعليم فيما عدا دخولهن بعض الكتاتيب، ورغم وجود المدارس الفرنسية إلا أن تخوف الآباء من التأثير السلبي على بناتهن جعلهم يرفضون إرسالهن لتلك المدارس، وخاصة في بداية الأمر وجود بعض الاستثناءات بحيث يذكر الاستثناءات بحيث يذكر عبد الله حمادي أنّ أول فتاة جزائرية التحقت بالجامعة هي الأنسة حورية بن عامر حورية بن عامر سنة 1922².

وقد انتبعت جمعية العلماء المسلمين لهذا الأمر، وحرص الشيخ ابن باديس على تعليم البنات البنات وإعطائهن حظا كبيرا من الاهتمام فزاد عدد المتعلّقات شيئا فشيئا³

كما لا يمكن أن ننسى الجهود التي قامت بها بعض الجمعيات والنوادي في مطلع القرن 20م، مثل نادي صالح باي في قسنطينة، وكان عبارة عن مجمّع للدراسات الأدبية والعلمية والعلمية والاجتماعية وعلى الرغم من أن رئاسة المجمع كانت بيد موظف فرنسي سامي استعريب اسمه عربيّ "Arripe" إلا أن أعوانه المسلمين كانوا عناصر نشطة منهم المفتي المالكي بن موهوب موهوب واثنان من الأعيان هما مصطفى باشرزي ومحمد بن باديس، ومن بين أهداف هذا النادي نشر النادي نشر التعليم وإحياء الفنون والصناعات المحلية، بلغ عدد أعضائه سنة 1914م، 700 عضوا، عضوا، كما ظهرت جمعيات أخرى في شتى المناطق الجزائرية الرئيسية مثل ودادية العلوم العصرية العصرية بخنشلة ونادي الشبان الجزائريين (تلمسان)، والجمعية التوفيقية (الجزائر)... الخ

إذا لقد عمل الاستعمار الفرنسي منذ دخوله للقضاء على المدارس ومراكز التعليم في الجزائر، وانتهج سياسة التجهيل ضد الجزائريين، كما فتحت السلطات الاستعمارية مدارس فرنسية، وتعلّما فرنسيا، لكنه لم يكن متاحا إلا لأبناء الأوروبين، والقلّة القليلة من أبناء الجزائريين، من أجل تكوين نخبة مفرنسة تستخدمها في التعامل مع الأهالي والسيطرة عليهم.

¹ - جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الثالث سنة 1935، دار

المعرفة، الجزائر، 2008، ص117، ينظر: الملحق رقم (03)

² - عبد الله حمادي، المرجع السابق، ص23.

³ - جمعية العلماء المسلمين، المصدر السابق، ص117.

⁴ - شارل روبير أجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا، 1871 - 1919، ج2، تر: م حاج مسعود، ع - بلعربي، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص710.

مدخل: الوضع التعليمي في الجزائر وتونس خلال النصف الأول من القرن 20 م (1900-1950)

وظلّ أغلبية الأهالي محرمون من التعليم، إلى أن عاد الشيخ عبد الحميد بن باديس من تونس سنة 1912م، وبدأ مشواره التعليمي وتعزّز نشاطه بتأسيس جمعية العلماء المسلمين سنة 1931م، التي حملت على كاهلها مسؤولية تعليم الجزائريين، وكان لذلك الأثر الكبير في القضاء على الجهل، وتعليم الأهالي .

ثانيا - تونس:

لقد قامت فرنسا منذ فرض الحماية على تونس 1881م، بمحاولة القضاء على المقومات المقومات الشخصية للشعب التونسي وإحلال اللغة والثقافة الفرنسيتين محل العويّقة أن سياستها أن سياستها التعليمية بتونس تختلف عنها بالجزائر إلا أن ذلك لا ينفي وجود ازدواجية التعليم (فرنسي- عربي) أو التمييز بين الفئات والأجناس ولنبدأ إذا بالنوع الأول:

أ التعليم الفرنسي: لدينا بعض الأرقام تُبين عدد التلاميذ التونسيين بالمدارس الفرنسية الابتدائية الابتدائية ففي سنة 1920 كان عددهم 10.700 تلميذ و 1.900 تلميذة من أصل 44.000 تلميذ، تلميذ، ولكن بعد سنة 1920 أصبح المجهود المبذول في هذا الميدان أهمّ ممّا كان عليه من قبل، حيث قبل، حيث ارتفع عدد التلاميذ التونسيين إلى 35.000 في سنة 1930م، وبلغ في سنة 1940م عدد 1940م عدد التلاميذ 47.000 تلميذ².

وفي سنة 1919م كان عدد الابتدائيات في تونس 29 منها 60 خاصة بالتونسيين المسلمين، المسلمين، وعندما يتقل كاهل الحكومة من مصاريفها تقوم بغلق المدارس الخاصة بتعليم الأهالي وتفتح الأهالي وتفتح المدارس المخصصة لأبناء المعمرين وتخصّص لهم البعثات المدرسية، وكل ذلك من الميزان ذلك من الميزانية التي كانت تُجبي من الأهالي

أمّا عن التعليم الثانوي فقد كانت هناك معاهد فرنسية يطلق عليها اسم (Lycée) مثل ليسي كارنو، وجميع التعليم فيها إمّا فرنسي تماما، أو فيه بعض الحصص القليلة العربية⁴

¹ - محمد الخضر حسين، تونس وجامع الزيتونة، (الفقه، الشعر، الزيتونة، ابن خلدون، تراجم)، تح: علي الرضا التونسي، المطبعة التعاونية، سوريا، 1971م، ص 141.

² - أحمد القصاب، تاريخ تونس المعاصر (1881-1956)، تر: حمادي الساحلي، ط01، تونس، 1986م، ص 310.

³ - عبد العزيز الثعالبي، تونس الشهيدة، تر وتو: سامي الجندي، ط01، دار القدس، لبنان، 1975م، ص 64.

⁴ - أروى النيفر، الشيخ محمد الصالح النيفر، حياته وآثاره، ط01، دار لبنان، لبنان، 2005، ص 60.

أمّا عن الكليات والمدارس العليا، فكانت المدرسة الصادقية التي أسّسها المصلح الوزير خير الدين التونسي¹ سنة 1875م، وكان الهدف منها تخريج إطارات الدولة، فكانت تدرّس فيها تدرّس فيها اللغات الأجنبية إلى جانب اللغة العربية إضافة إلى العلوم العصرية إلا أن مهمّتها بعد الحماية صارت بالدرجة الأولى تخريج المترجمين الذين اعتبروا أداة ضرورية مع الأهالي².

وبالرغم من أن أكثر من يكون له الحظ في مواصلة دراسته في هذه المدارس العليا ثم الخروج ثم الخروج لمواصلة الدراسة في الجزائر، أو فرنسا، يكون من الأغنياء، إلا أن ذلك لم يُعفهم من التمييز الحاصل آنذاك ونستطيع أن نستنتج ذلك من ما يقوله الثعالبي أيضا: >>... أمّا الكلية الكلية العلوية التي أنشئت وافتتحت كي يدرس فيها الطلاب من كل عناصر السكان، لكن الاستعمار كان الاستعمار كان ساهرا، فشهدنا يوما منظرا لا يأتلف مع غاية مدرسة عامة كان يقسم الطلاب في الغدو في الغدو والرواح إلى صفوف ثلاثة ويجري الترتيب حسب الأولوية، فيمرّ الفرنسيون أولا، ثم الطليان، ثم الطليان، ثم اليهود التونسيون، ثم أخيرا المسلمون التونسيون، كان ذلك يعني أن هؤلاء الطلاب الطلاب ليسوا من طينة اجتماعية واحدة، ولو جلسوا على نفس المقاعد³...<<

ب التعليم العربي: كان التعليم الابتدائي هو التعليم المتواجد في الكتاتيب التي وإن كان لها فضل كبير في المحافظة على القرآن، لكن نظامها كان ضيقا جدا، بحيث لا يتم فيها سوى تحفيظ القرآن تحفيظ القرآن الكريم من غير أن يُزاد على ذلك شيء من المعلومات التي لا بد منها فكان المتخرج من المتخرج من تلك الكتاتيب لا قدرة له إلا على القراءة والكتابة مع استظهاره ما يحفظ من القرآن القرآن الكريم⁴.

¹ - خير الدين التونسي: (1820-1890) أصله من القوقاز، اختطف صغيرا وبيع في اسطنبول وبعد سنوات أهدى لباي تونس، حيث أدخل لمدرسة صغار المماليك، وبعدها تعلم اللغة العربية، وانخرط في سلك مدرسة باردو الحربية، ونظرا لنبوغه الحق بحاشية الباي، ثم تدرّج في المناصب العليا فصار وزيرا للبحرية ثم رئيسا للمجلس الاستشاري الأكبر، ثم استقال لكثرة المكائد داخل البلاط، قم برحلة في عدة دول أوروبية ألف بعدها كتابه "أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك" ثم عين الوزير الأكبر لتونس سنة 1873م، حيث أصدر إصلاحاته الشهيرة، ونظرا لتواصل المؤامرات ضده تخلى عن منصبه وانتقل إلى اسطنبول حيث صار صدرا أعظما، وبعدها استقال ثم توفي هناك سنة 1890، ينظر: الصادق الزمرلي، أعلام تونسيون، تر وثق: حمادي الساحلي، ط01، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1986م، ص97-108.

² - حسن حسيني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، ط05، الدار التونسية للنشر، تونس، ص212.

³ - عبد العزيز الثعالبي، المصدر السابق، ص63.

⁴ - محمد المختار بن محمود "المدارس القرآنية"، المجلة الزيتونية، مج02، ج03، تونس، ديسمبر 1937م، ص244.

ويؤكد ذلك مصطفى خير¹ فليد مداخلته أثناء مؤتمر شمال إفريقيا المنعقد في 06 إلى 10 إلى 10 أكتوبر 1908م، واصفا التعليم في الكتاب: >>... أما عن البرنامج المتبع في الكتاب فهو أن يردّد الأطفال القرآن يوميا من الصباح إلى منتصف النهار... ولكن التلميذ عندما يتخرج من يتخرج من الكتاب وعمر 15 أو 17 سنة، نجده لا يستطيع استظهار القرآن، ولا يفهم الكثير من كلماته، كما لا يستطيع أن يحرر رسالة صغيرة بالعربية... يجب أن ينظم التعليم جيدا²... جيدا².

وقد واصل 'خير الله' المطالبة بإدخال أساليب عصرية على الكتابات على كثرة منتقديه إلا أنه منتقديه إلا أنه نجح في افتتاح مدارس قرآنية عصرية أولها التي أسماها المدرسة القرآنية العصرية"، العصرية"، بحيث يستعمل فيها التلاميذ الكتب المطبوعة في مصر، ثم أفتتحت مدارس أخرى على شاكلتها على شاكلتها مثل "المدرسة العرفانية"، التي أنشأتها الجمعية الخيرية الإسلامية بتونس وبعد أن يكون التلميذ قد تعلم بالمدرسة القرآنية القرآن والفقه والحساب وسائر المواد الأولية مع شيء من الفرنسية، يلتحق بعضهم بالتعليم الزيتوني لأن مستواهم ضعيف في الفرنسية، إضافة الفرنسية، إضافة إلى حالتهم المادية التي لا تسمح لهم بمواصلة الدراسة في الجزائر أو فرنسا، كما فرنسا، كما أن الطلبة الذين يفدون من خارج العاصمة يحصلون على السكن الخاص بطلبة الزيتونة وعلى الزيتونة وعلى بعض الإعانات على⁴ معاشهم

وكان التعليم بالجامع الأعظم يتم في ثلاث درجات ابتدائية ووسطى وعلوية ابتدائية تمكن تمكن صاحبها من الحصول على شهادة الأهلية، والوسطى تمكنه من الحصول على شهادة التطويق التي أصل التطويق التي أصبحت تسمى فيما بعد شهادة التحصيل في العلوم، أما إذا واصل الدراسة إلى المرحلة

¹ - مصطفى خير الله (1867-1965) ولد بتونس، درس المرحلة الثانوية بالمدرسة العلوية، وعندما تخرج منها عمل مدرسا للغة الفرنسية لمدة 06 سنوات بالمدرسة الصادقية، ثم تحصل على شهادة الدراسات العربية العليا، فأصبح بموجبها مترجما عدليا لدى المحكمة المختلطة بتونس، ترأس جمعية قداماء الصادقية التي أنشأت عام 1905م، شارك في مؤتمر شمال إفريقيا بباريس سنة 1908م، حيث طالب بإصلاح التعليم في الكتابات ونجح في تأسيس المدارس القرآنية الحديثة، في عدة مدن تونسية، كما كان عضوا في هيئة تحرير جريدة التونسية، ينظر الصادق الزمرلي، المصدر السابق، ص 321-325.

² - Khairallah; " l'enseignements primaire des indigènes en Tunisie", congrès de l'Algérie du nord tenu à paris , du 6 au 10 octobre 1908, Tome II , paris , 1909, p44.

³ - أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 331، للمزيد ينظر: المصدر الفرنسي السابق، ص 45.

⁴ - أروى النفير، المرجع السابق، ص 61.

مدخل: الوضع التعليمي في الجزائر وتونس خلال النصف الأول من القرن 20 م (1900-1950)

المرحلة العليا فيحصل على شهادة تسمى العالمية وهي أعلى وآخر شهادة يسلمها الجامع¹ لطلبته لطلبته¹.

ولكن التعليم بجامع الزيتونة يعاني من التأخر والركود، فالعلوم العقلية البحتة كالمنطق كالمنطق والحساب لم تكن تدرس لذاتها وإنما كانت كتنمة للمعارف العربية والإسلامية وقد عرف التعليم في الزيتونة العديد من المحاولات الإصلاح أقدمها هو إنشاء "الجمعية الخلدونية"³ سنة 1896م، حيث يدرس فيها طلبة الزيتونة عدة علوم مثل الكيمياء، والرياضيات والتاريخ والجغرافيا، واللغات الأجنبية وتنتهي بالحصول على شهادة البكالوريا العربية العربية التي تهئ الطلبة للالتحاق بالجامعات العربية في المشرق، ومن ثمّ يمكن إمداد الزيتونة الزيتونة بمدرسين قادرين على تحقيق الإصلاح

أما المرأة التونسية فلم تكن أوفر حظا من المرأة الجزائرية في التعليم، بحيث كانت في في دراستها تكاد تقتصر على الكتابات، وبالرغم من وجود المدارس الفرنسية، إلا أنّ تخوّف الآباء من الآباء من التأثير السلبي على بناتهم جعلهم يُحجمون على إرسالهن إلى تلك المدارس، خاصة في بادئ في بادئ الأمر وتبين بإحصاءات عام 1920 أن عدد التلميذات بالمدارس الفرنسية في تونس حوالي 1000 تلميذة من بينها 200 تلميذة تقريبا بمدرسة "لويزروني ميلي" التي تقصدها بنات بنات العائلات البرجوازية بالعاصمة⁶

¹ -Mustapha Kraiem , Op- Cit , p65.

² - محمد الطاهر بن عاشور، أليس الصبح بقريب، التعليم العربي الإسلامي، دراسة تاريخية وآراء إصلاحية، ط01، دار سحنون، تونس، 2006، ص 37 .

³ - ساند بعض أساتذة الزيتونة تأسيس الجمعية أمثال سالم بوحاجب، والطاهر بن عاشور، وأحمد كريم، بينما عارضها بعض المحافظين حتى لا تزعجهم في نشاطهم التعليمي، ولا تبعد الطلبة عن التكوين التقليدي الذي يؤمنه جامع الزيتونة منذ زمن طويل أو تحوّلهم إلى أداة دعاية لحضارة الغرب، ينظر: مجموعة من الأساتذة، تونس عبر التاريخ، الحركة الوطنية ودولة الاستقلال، ج03، تونس، 2005، ص65.

⁴ - شارل اندري جوليان، المعمّرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي، تر: محمد مزالي والبشير بن سلامة، ط 02، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1985م، ص104.

⁵ - الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية (1830-1956) رؤية شعبية قومية جديدة، ط1، دار المعارف، تونس، ص222.

⁶ - أحمد القصاب، المرجع السابق، ص302.

ونستطيع أن نلاحظ جهود "جمعية الشبان المسلمين" التي سيأتي الحديث عنها لاحقاً في سبيل في سبيل تعليم المرأة - وذلك بتأسيس فرع نسوي للجمعية سمي "السيدات المسلمات"، وبدأت سنة 1947م، ببناء "مدرسة البنت المسلمة".

أمّا عن التعليم الحرفي فقد اشتهر في تونس التعليم الزراعي بحيث فُتحت المدارس الزراعية الزراعية الاستعمارية، التي أنشأت من أجل توجيه التلاميذ لهذا المجال وتزويدهم بالمعارف الزراعية الزراعية نظرياً وتطبيقاتها لكي يتم الاستفادة منهم بعد تخرجهم في استصلاح الأراضي² للمستعمرة المستعمرة.

وما يمكن قوله أن تونس منذ خضعت للحماية الفرنسية عملت هذه الأخيرة على القضاء على المقومات الوطنية والتعليم العربي، وقد ظهرت في تونس أيضاً ازدواجية التعليم، فالمدارس الفرنسية كانت خاصة بأبناء المعمّرين والقليل من التونسيين، في حين ظل جامع الزيتونة هو مركز تعليم القرآن واللغة العربية على الرغم مما يعانيه من تخلف وركود لذلك شهد العديد من محاولات الإصلاح وسيأتي التفصيل في هذا الموضوع عند أوانه.

¹ - أروى النفير، المرجع السابق، ص41

² - Direction de L'Agriculture du commerce, **Notice sur la Tunisie**, Imprimerie générale, Tunis, 1899, p37.

المقارنة:

وبعد أن تطرقنا للوضع التعليمي في كل من الجزائر وتونس خلال النصف الأول من القرن العشرين استطعنا أن نستخلص عدة نتائج ونقف على بعض نقاط التشابه أو الاختلاف بين البلدين ولنبدأ بأهم أوجه التشابه:

لقد عمل الاستعمار الفرنسي على القضاء على اللغة العربية والدين الإسلامي ومن ذلك التعليم العربي سواء في الجزائر أو تونس، وقد عانى الأهالي كثيرا من ظلام الجهل والامية في ظل هذه السياسة.

كان أغلب الأهالي يدرسون أبناءهم في الكتاتيب والزوايا التي تعلم القرآن والكتابة والقراءة فقط، وكانت هذه الكتاتيب تتعرض للملاحقات والمضايقات الاستعمارية.

لقد كان أغلبية الأهالي ملتزمون بتدريس أبنائهم بالتعليم العربي حرصا على حفظ هويتهم ومقاوماتهم، إضافة إلى العامل المادي حيث يتعذر على معظمهم إرسال أبنائهم للمدارس البعيدة سواء داخل الوطن أو خارجه.

فتحت السلطات الفرنسية المدارس من أجل نشر التعليم الفرنسي، وليس ذلك بغرض تثقيف الأهالي، بل من أجل إيجاد نخبة فرانكفونية تحمل أفكارها وتدافع وتعمل على إدماج الشعب وتذويبه في الثقافة الفرنسية، لكي يستقر الحال للفرنسيين في هذه البلدان.

على الرغم من تحفظ الأهالي من التعليم الفرنسي بالنسبة للذكور، إلا أننا لاحظنا وجود من يحرص على إدخال أبنائهم للمدارس الفرنسية، ثم إرسالهم حتى لفرنسا، وذلك إما لكونهم ينتمون لعائلات مقربة من الإدارة الاستعمارية أو لحرصهم على تأمين مستقبل أبنائهم لأن التعليم الفرنسي يوفر لهم الوظائف الراقية.

كانت الفتاة سواء بالجزائر أو تونس أقل حظا من الذكور في مجال التعليم، وخاصة في بداية الأمر، وذلك طبعاً يعود لتخوف الأولياء من سلبيات التعليم الفرنسي على بناتهم لذلك نجد أغلب من يواصلون تعليمهم من الذكور، في حين تتعلم البنات في الكتاتيب فحسب، ولكن مع مرور الزمن تغيرت نظرة بعض الأولياء وقبلوا أن يدخلوا بناتهم للمدارس الفرنسية.

على الرغم مما عصف باللغة العربية من محاولات القضاء عليها من طرف الإدارة الاستعمارية، إلا أننا وجدنا في الجزائر وتونس من يتولى حمايتها ويسعى للحفاظ عليها، ففي الجزائر تحمّلت جمعية العلماء المسلمين -بالخصوص- مسؤولية ذلك، بينما في تونس جامع الزيتونة الذي ظل منارة للتعليم العربي الإسلامي ليس بتونس فحسب، بل بكل المغرب العربي على الرغم مما ذكرناه سابقا في مسألة تخلف ورؤوده.

وبعد أن ذكرنا بعض أوجه الشبه، نتطرق الآن ~~لأوجه~~ **الاختلاف**:

- فبالرغم من أن الاستعمار الفرنسي كان هو نفسه المتواجد في الجزائر وتونس إلا أن اختلاف طبيعته (فهو عسكري استيطاني بالجزائر ونظام حماية في تونس)، كان له الأثر على الحياة الثقافية والتعليمية في كلا البلدين، فقد لاحظنا أن السياسة التعليمية الفرنسية في تونس كانت أكثر مرونة منها بالجزائر، فقد شهدت هذه الأخيرة القضاء الكامل على مراكز التعليم فقد أغلقت المدارس ودمرتها ودنست المساجد وعطلت دور المساجد والزوايا، في حين بقي جامع الزيتونة على الرغم من المضايقات الاستعمارية -منارة التعليم العربي- كما بقيت الخلدونية والصادقية مع أن السلطات الفرنسية تدخلت في شؤونهما.

- ومما يدل على ما قلناه أيضا أن جامعة الزيتونة ظلت مقصد للطلاب الجزائريين بل وللمغاربة جميعا، ففيها تكون أغلب رجال جمعية العلماء بدءا من مؤسسها عبد الحميد بن باديس.

- لم يعان الطلبة التونسيون مما عاناه الطلبة الجزائريين الراغبين في مواصلة دراستهم بفرنسا وما يُثبت ذلك أن عدد الطلبة التونسيين في فرنسا كان أكثر من عدد الطلبة الجزائريين وهذا ما سنلاحظه عند الحديث عن جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين.

- أن الجزائر شهدت قفزة نوعية في الجانب التعليمي بفضل جهود جمعية العلماء الجزائريين، وقد نجحت تجربة الإصلاح والتجديد رغم كل التحديات، في حين كثرت عمليات الإصلاح عمليات الإصلاح في الزيتونة، لكن دون تسجيل نجاح يذكر، وما يدل على ذلك تذمر الطلبة التونسيين الطلبة التونسيين وكثرة إضراباتهم واحتجاجاتهم على أوضاعهم كما سوف نفصل في ذلك لاحقا، وأيضا

لاحقا، وأيضا نقد ابن باديس لأوضاع الزيتونة ونصيحته للزيتونيين بتكوين جمعية شبيهة بجمعية جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

- حققت جمعية العلماء سبقا مقارنة بالتونسيين، في مجال التعليم العربي الإسلامي بالنسبة للمرأة فقد لاحظنا جهود ابن باديس المبكرة في هذا المجال في حين نشطت جمعية الشبان المسلمين بتونس في نفس المجال في أواخر أربعينات القرن.

الفصل الأول

الحركة الطلابية بالجزائر وتونس وعوامل ظهورها وأهم اتجاهاتها

المبحث الأول: عوامل وظروف ظهور الحركة الطلابية .

المبحث الثاني: أهم التنظيمات الطلابية .

المبحث الثالث: مشاربها واتجاهاتها الفكرية .

المبحث الأول: عوامل وظروف ظهور الحركة الطلابية

شهدت كلاً من الجزائر وتونس خلال النصف الأول من القرن العشرين عدة تغيرات وأحداث متسارعة شملت مختلف الأصعدة، والتي كانت انعكاساً للظروف الداخلية لكلا الدولتين والخارجية المحيطة بها، وقد كان من أهم مظاهر هذا الحراك بروز الحركة الطلابية بشكل مُهيكل ومنظم ولا بد أن هذه الحركة لم تولد من فراغ بل كانت نتاج عدة ظروف وعوامل.

ومن أجل الإطلاع على أهم تلك الظروف والعوامل نتطرق لكل دولة على حدة، ثم نورد ما تشترك بينهما من العوامل والظروف.

أولاً- الجزائر: لقد توقرت الجزائر على عدة ظروف وعوامل كان من شأنها أن تمثل بواعث للحركة الطلابية الجزائرية.

1. تضيق الخناق على تعليم الجزائريين : وكما أسلفنا ذلك أن الفرنسيين حرصوا على

تجهيل الجزائريين وإضعاف اللغة العربية، وإبعادهم عن هويتهم وتاريخهم¹.

2. نمو الوعي الوطني بالمدارس الجزائرية : فقد ظهرت المدارس الحرة في الجزائر على

نطاق واسع مثل المدرسة الصديقية بتبسة سنة 1913م، لصاحبها عباس بن حمّانة،

والمدارس التي افتتحها بن باديس ومعهد الحياة بالقرارة سنة 1925م، ومدرسة الإخاء

سنة 1931م ببسكرة والأغواط مدرسة الشبيبة التي درس فيها السعيد الزاهري، ومبارك

الميلي، هذه المدارس إضافة إلى جهود جمعية العلماء المسلمين حافظت على الهوية

الإسلامية ممّا ساعد على ظهور الحركة الطلابية الوطنية².

3. بزوغ النهضة الجزائرية وتقديم العرائض: ففي مطلع القرن العشرين عرفت الجزائر

ميلاد العديد من الجمعيات والنوادي التي ساهمت بالقسط الكبير في تنمية الحس الوطني

مثل الجمعية الرشيدية والتنقيفية ونادي صالح باي ونادي الجزائر، وتشكيل الفرق

¹ -Ben youcef ben Khadda , Op, cit, p53.

² - أحمد مريوش، المرجع السابق، ص ص73-74.

الفصل الأول: الحركة الطلابية بالجزائر وتونس - عوامل ظهورها وأهم اتجاهاتها

المسرحية والرياضية، والجمعيات الدينية وتجدد العمل بالعرائض، وتعد عريضة 1912م من أهم العرائض التي قدمها مجموعة النخبة المثقفة إلى الحكومة الفرنسية¹.

4. مشاركة الشباب الجزائري في الحرب العالمية الأولى (1914-1918): فقد شارك

الجزائريون في الحرب العالمية الأولى مما جعلهم يطلعون على وضع جديد تملؤه المساواة المطبقة بين الفرنسيين والأوروبيين أنفسهم، بينما يُحرم منها الجزائريون مما جعلهم ينقمون على وضعهم ومستعدين لتغييره بكل الأشكال والوسائل².

ويقول فرحات عباس في هذا الصدد: >>... بعد مشاركة شعبنا في الحرب العالمية الأولى سمح للطلبة الجزائريين المسلمين أن يكونوا ودادية، وإن كانت مثل هذه الخطوة تعتبر في الظرف الراهن شيئا لا قيمة له، فإنها حينئذ كانت تعد انتصارا كبيرا له أهمية كبرى بالنظر إلى القانون الاستثنائي البائد الذي كان يرضخ له شعبنا الذي كان يُدعى إذ ذاك باسم قانون الأهالي...<<³.

5. الهجرة الجزائرية نحو أوروبا: فقد كانت هناك عدة دوافع وراء هجرة الجزائريين نحو أوروبا عامة، وفرنسا خاصة، منها الدوافع الاقتصادية⁴ والعسكرية، والتعليمية، وقد شملت الهجرة عنصر الطلبة الذين تأثروا بما عايشوه في الخارج وخاصة وسط الجامعات التي كانت بمثابة خلايا للأفكار والسياسة وبالفعل أخذ العديد من الطلبة الجزائريين بأفكار التحرر وحرية التعبير⁵.

6. تأسيس جامعة الجزائر والتضييق على الطلبة الجزائريين: تأسست هذه الجامعة منذ

1859 لإتمام المشروع الاستعماري وافتتحت رسميا سنة 1909م، وغرضها استقطاب طلبة شمال إفريقيا، ولذلك تعد من أقدم الجامعات في الوطن العربي، وظلت الجامعة الوحيدة

¹ - أحمد مريوش، المرجع السابق، ص ص 76-77.

² - محمد السعيد عقيب، دور الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين خلال ثورة التحرير (1955-1962)، مؤسسة كوشكار للنشر والتوزيع، الجزائر 2008، ص ص 12-13.

³ - أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 73.

⁴ - في سنة 1915 كان هناك 13.000 عامل من شامل إفريقيا في فرنسا من بينهم 80.000 جزائري، وقد شهدت أعداد العمال الشمال إفريقيين تراجعا، فقد نقص من 65 ألفا سنة 1932م، إلى 56 ألف سنة 1933، ثم 50 ألفا سنة 1934م، و 32 ألفا سنة 1936م، ينظر:

- Tayeb bellola , **Les Algériens en France** , éditions nationales algériennes , Alger , pp 27.34.

⁵ - محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص ص 18-19.

الفصل الأول: الحركة الطلابية بالجزائر وتونس - عوامل ظهورها وأهم اتجاهاتها

بالجزائر حتى الاستقلال، وكانت تحوي عدة نشاطات خارج الدروس، تمثلت في الأنشطة الطلابية والثقافية، ومع قلة الطلبة الجزائريين المسلمين فيها إلا أنهم عانوا من التمييز ومحاولات الإقصاء¹.

7. تكاثر عدد الطلبة الجزائريين خلال الثلاثينات: فرض التفكير في وجوب تأطيرهم وصهرهم في لحمة واحدة، تجمعهم وتتولى الدفاع عنهم².

8. الاحتفال الفرنسي بالذكرى المئوية لاحتلال الجزائر: لقد مثلت هذه الاحتفالات استفزازا كبيرا لمشاعر الجزائريين لأن مظاهر هذا الاحتفال كانت ضربة جديدة للمقدسات الدينية والوطنية وذلك لما تحتويه شعاراتهم من حقد على الإسلام وحضارة العربية، وكان لكل هذه المظاهر صدى بين المثقفين والطلبة ورجال السياسة وأثرا في بعث اليقظة الجزائرية وتلاحم مشاعرهم وتقارب أطيافهم³.

9. التأثير المحدود لمشاركة الطلبة الجزائريين في قيادة حركة الشباب الجزائري (1908-1930): ابتداء من سنة 1908 ظهرت حركة طلابية سياسية كرد فعل لمشروع إلزامية الخدمة العسكرية على الشباب الجزائري، كان من مطالبها إلغاء قانون الأهالي ونشر التعليم والتمثيل العادل للجزائريين في الجمعيات، وفي البرلمان الفرنسي، وضمت مجموعة من خريجي الجامعات مثل: الطيب بلقاسم، بن تهامي، الأمير خالد، بن علي فكار، وشريف بن حبليس ومحمد بن رحال، وبالرغم من ذلك لم تكن حركة الشباب الجزائري كافية في إطاره لتأسيس تنظيم طلاب، مما جعل الطلبة الجزائريين الذين التحقوا بجامعة الجزائر يلجؤون إلى التنظيمات الطلابية التابعة للاستعمار، والتي كانت نقطة بداية العمل من أجل تكوين حركة طلابية جزائرية⁴.

10. تأسيس التنظيمات الطلابية الفرنسية: برزت العديد من التشكيلات الطلابية في فرنسا أثناء حكم الجمهورية الثالثة، منها جمعية الطلبة في كل من جامعة نانسي سنة 1877م،

¹ - أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 58-61.

² - محمد صالح الجابري، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس، (1900-1962)، الدار العربية للكتاب، تونس، 1983م، ص 98.

³ - أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 64.

⁴ - كمال مازيغي، حسن عبد اللاوي، المرجع السابق، ص 40-41.

الفصل الأول: الحركة الطلابية بالجزائر وتونس - عوامل ظهورها وأهم اتجاهاتها

وجامعة بوردو سنة 1882م، وباريس سنة 1884م، وتعايشت هذه التشكيلات وتوحدت تحت اسم الاتحاد الوطني للجمعيات الطلابية الفرنسية وأسس هذا الأخير عدة فروع له في الجامعات المتواجدة بالمستعمرات ومنها الجزائر، وقد عاصر الطلبة الجزائريون هذه التشكيلات الطلابية سواء في فرنسا أو في جامعة الجزائر وأخذ منها العمل الطلابي¹.

1. الانخراط في الجمعية العامة لطلبة الجزائر : تأسست سنة 1885، وضمت القليل من الطلبة الجزائريين، ولكن هيمنة القيادة المتكونة من الطلبة المستعمرين، وسعيهم لإقصاء الطلبة الجزائريين منها، أدت إلى ظهور صراع بين الطرفين، مما أدى بالجزائريين إلى تأسيس منظمات خاصة بهم².

ثانياً- تونس:

فقد عاشت تونس أيضاً ظروفًا ساعدت بشكل أو بآخر على بعث الحركة الطلابية التونسية، أهمّها:

1. السياسة التعليمية الفرنسية في تونس: فقد لاحظنا من خلال ما تطرقنا إليه في المدخل التضيق المتعمد على اللغة العربية ومحاولة القضاء عليها، إضافة إلى تشجيع التعليم الفرنسي، الذي سعت من خلاله فرنسا إلى تكوين نخبة مفرنسة تخدم مصالحها زد على ذلك التمييز الذي عانى منه أبناء الأهالي من طرف المعمرين في مقاعد الدراسة.

2. نمو الوعي الوطني: حيث اجتمعت عدة عوامل أدت إلى حالة احتقان وتذمر شعبيين ضد التعسقات الاستعمارية، والتي كان من بينها وقع الغزو الإيطالي للبيبا، فقد كان له الأثر الكبير في الأوساط التونسية وخاصة الفئات المثقفة بحيث أسس علي باش حانبه³، وعبد العزيز الثعالبي جريدة "الاتحاد الإسلامي" لدعوة المسلمين للوقوف في وجه الهجمة الأوروبية، منددين بموقف فرنسا المؤيد لإيطاليا، كما نظم التونسيون حملة تبرع لصالح

¹ - أحمد مريوش، المرجع السابق، ص71.

² - مازيغي وعبد اللاوي، المرجع السابق، ص ص 42-43.

³ - علي باش حانبه، (1876-1918) ينحدر من أسرة تركية من سكان الأناضول التي قدمت بالأريالة التونسية أيام الحكم العثماني، بعدما تخرج من الصادقية دُعي إلى الإشراف على إدارتها بصفة وكيل، ثم تحصل على شهادة في الحقوق، أنشأ جمعية قدماء الصادقية سنة 1905م، وترأس جريدة "التونسي" الناطقة باسم 'حركة الشبان التونسيين' ثم ترك تونس واستقر باسطنبول ومن هناك واصل كفاحه عن قضايا تونس والمغرب العربي ينظر الصادق الزمرلي، المصدر السابق، ص ص 143-144.

الفصل الأول: الحركة الطلابية بالجزائر وتونس - عوامل ظهورها وأهم اتجاهاتها

الليبيين، كما تسببت حالة الغليان هذه في تفجير أحداث الزلاّج في 07 نوفمبر 1911م، وهي مقبرة اختلفت البلدية والأوقاف حول ملكيتها وكان الأهالي يحرصون على بقائها وقفًا لاحتوائها على عدة أضرحة مثل مقام (سيدي بالحسن في القرن 6هـ) وقد بلغ الأهالي خبرا مفاده أنّ فرنسا تريد تسجيل هذه المقبرة من أجل إقامة خط حديدي في جزء منها، فقامت مظاهرة عنيفة وتدخل الجيش الفرنسي ووقع العديد من القتلى التونسيين والمعمرين¹. كما ساهمت جهود عبد العزيز الثعالبي في نمو الوعي الوطني بحيث قدم بيانا سنة 1919م باسم الشعب التونسي للرئيس الأمريكي ولسن طلب فيها باستقلال بلاده ثم أصدر كتابه الشهير تونس الشهيدة الذي فضح فيه الاستعمار وعرف فيه بقضية بلاده².

3. مشاركة الشباب التونسي في الحرب العالمية الأولى (1914-1918): بحيث شارك التونسيون في الحرب العالمية بحوالي 80 ألف جندي وقرابة 30 ألف عامل بالمصانع والحقول وقدر عدد الجنود القتلى والمفقودين منهم بحوالي 15 ألف، يضاف إليهم ما بين 8 آلاف و 10 آلاف من الجرحى والمشوهين، وبالرغم من كل ما قدموه إلا أنهم وجدوا أنفسهم كأبناء المستعمرات الأخرى يعانون من التمييز والظلم بينما يحظى الأوروبيين بالمساواة والحقوق الكاملة، ممّا ولد فيهم شعور بالتذمر والسعي إلى تغيير الواقع³.

4. الاحتفال بمرور نصف قرن من الاحتلال الفرنسي لتونس: وذلك سنة 1930م بحيث تجلت فيه أبلغ صور الحقد الصليبي على الإسلام والعربية وعُقد مؤتمر من طرف رجال الدين المسيحي سميّ بالمؤتمر الأفخارستي مما استفز مشاعر كل التونسيين وأدى إلى تقاربهم وتلاحمهم⁴.

¹ - البشير بن الحاج عثمان الشريف، أضواء على تاريخ تونس الحديث، (1881-1924)، ط01، دار بوسلامة للطباعة والنشر، تونس، 1981م، صص 145-150.

² - د.ر. فوبليكوف، وآخرون، تاريخ الأقطار العربية المعاصر، (1917-1970)، ج2، دار التقدم، موسكو، 1976م، صص 68.

³ - مجموعة من الأساتذة، المرجع السابق، صص 83.

⁴ - الطاهر عبد الله، المرجع السابق، صص 57.

الفصل الأول: الحركة الطلابية بالجزائر وتونس - عوامل ظهورها وأهم اتجاهاتها

5. تزايد عدد الطلبة التونسيين في فرنسا : فقد مثلوا أغلبية المغرب العربي بفرنسا، فحسب إحصائيات سنتي 1931-1932 كان عدد طلبة المغرب العربي 206 منهم 171 طالبا تونسيا في حين كان عدد الجزائريون 21 طالبا، ومن المغرب الأقصى 14 طالبا¹.

6. تكون نخبة تونسية مثقفة: ومنهم المثقفين ثقافة فرنسية الذين كانوا من خريجي الصادقية والمدارس الفرنسية، ومنهم من واصل تعلمه في أوروبا وبالتالي اطلعوا على أفكار التحرر الموجودة هناك، مما أثار غضب المعمرين الذين يقولون بأن اضطراب أحوالهم في تونس هو من تأثير التعليم الذي علمتهم إياه فرنسا وسمحت لهم بالإطلاع على لغتها وفهمها واتسع إطلاعهم على الجرائد والكتب التي أخذوا منها أفكار الحرية والمساواة، فصاروا يطالبون بها².

وبعد استعراض بعض العوامل والظروف التي شكلت مناخا مناسباً لظهور الحركة الطلابية في كل من تونس والجزائر - كل على حدة - سواء داخل بلدانهم أو في المهجر:

1. بروز الفكر الوحدوي: نظرا للترابط الجغرافي والتاريخي لمنطقة المغرب العربي فقد كان من الطبيعي أن تشهد هذه الأقطار يقظة في الفكر والوعي، فعادت المناداة بالوحدة وتعززت هاته القضية بعد موجات الهجرة الجزائرية تجاه تونس، والمغرب³، ولهذا نجد الفكر الوحدوي قد بدأ يسري وسط الفئات المختلفة من المجتمع بما فيهم الطلبة الذين جسدوها في جمعيتهم "جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين"⁴.

2. دعوات إصلاح مؤسسات التعليم: شهدت تونس عدة مطالبات ومحاولات لتحسين الأوضاع التعليمية وإصلاح مؤسسات التعليم، وخاصة في جامع الزيتونة، كما سيأتي التفصيل فيها لاحقا هذا الأمر كان حافزا مهما في تشكيل المنظمات الطلابية سواء داخل تونس

¹ - لخضر عواريب، جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية، (1927-1955)، (مذكرات ماجستير) مخطوطة، جامعة الجزائر، 2006 - 2007، ص35.

² - أحمد القصاب، المرجع السابق، ص298.

³ - وصل عدد المهاجرين الجزائريين إلى تونس سنة 1936 إلى 1200 مهاجرا ليرتفع سنة 1946 إلى 50.000 مهاجرا، كما استقطب المغرب بدوره العديد من المهاجرين الجزائريين ففي سنة 1926 بلغ عددهم 7800 مهاجرا وارتفع إلى 32946 سنة 1947م، ينظر: أحمد مريوش، المرجع السابق، ص81.

⁴ - محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص ص 22-24.

الفصل الأول: الحركة الطلابية بالجزائر وتونس - عوامل ظهورها وأهم اتجاهاتها

أو بالنسبة للجزائريين الذين درسوا في الزيتونة بدعوات الإصلاح التي كانت عاملا مهما في هيكلية الحركة الطلابية الجزائرية التونسية معا¹.

3. الأوضاع المادية الصعبة لطلبة المغرب العربي في المهجر: فقد كانت أوضاع الطلبة في المهجر صعبة إلى حد كبير فأغلب العائلات لم تتمكن من مساعدة أبنائها الطلبة والتكفل بحاجياتهم في ظل غلاء المعيشة في فرنسا، وعدم اهتمام السلطات بهم، بهذه الحالة جعلت الضرورة ملحة من أجل إنشاء تنظيمات طلابية تساعد الطلبة على تجاوز أوضاعهم القاسية².

4. سياسة الإقصاء والتهميش المنتهجة ضد الطلبة المغاربة: فقد ساهمت الجمعيات الفرنسية بطريقة أو بأخرى في دفع طلبة المغرب العربي إلى التكتل، فقد أحس هؤلاء بخصوصيتهم لاسيما وأن التنظيمات الفرنسية كانت في الغالب تناقض مواثيقها وتمارس على الطلبة المسلمين الإقصاء والتهميش³.

5. تأسيس حزب نجم شمال إفريقيا: تأسس النجم سنة 1926م، ويعتبر خطوة متقدمة في فكرة الوحدة المغاربية، ومنذ تأسيس عمل قاداته على التقرب من الطلبة لتحقيق التحالف بينهم وبين العمال، وقد عقد العديد من الاجتماعات واللقاءات مع الطلبة، وكان من أهم العوامل المؤدية لتأسيس جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين⁴.

وما يمكن قوله أنه قد توفرت عدة عوامل ساعد على ظهور الحركة الطلابية بشكلها المنظم، فقد لاحظنا أنها كانت إما ظروفًا صعبة عاشتها النخبة المثقفة التي تعتبر جزءا من عامة الشعب تتأثر بما يجري عليه، سواء في الجزائر أو في تونس نتيجة السياسة الاستعمارية التي كانت تقف بالمرصاد لأي تحرك أو تطور من شأنه أن يؤثر على استقرارها بالمستعمرات أو ظروف عاشها الطلبة في المهجر من حيث تلاحقهم المضايقات الاستعمارية ومع ذلك فقد استطاع الطلبة أن يصنعوا من تلك المصاعب حوافز ونجحوا في تأسيس

¹ - أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 82.

² - لخضر عواريب، المرجع السابق، ص 37.

³ - نفسه، ص 24.

⁴ - نفسه، ص ص 30-31.

الفصل الأول: الحركة الطلابية بالجزائر وتونس - عوامل ظهورها وأهم اتجاهاتها

جمعيات ومنظمات طلابية استطاعت أن تؤثر وتنشط في مختلف المجالات سواء داخل بلدانها وخارجها.

المبحث الثاني: أهم التنظيمات الطلابية

سبق وأن تطرقنا لجُملة من العوامل التي ساعدت على ظهور الحركة الطلابية بالجزائر وتونس، والتي نتج عنها ظهور عدّة منظمات وجمعيات طلابية جزائرية وتونسية سواء منها ما كانت داخل بلدانهم، أو ما كانت بالمهجر، أو تابعة لمنظمات أخرى، أو مستقلة بذاتها هذا الأمر الذي أثر على إيديولوجياتها وتوجهاتها.

وحتى يتوضّح الأمر أكثر، يتوجّب علينا أن نتناول نماذج من هذه الجمعيات بدءا بالجزائر، ومرورا بتونس وانتهاءا عند الجمعية الطلابية التي جمعت الجزائريين والتونسيين معا بفرنسا.

أولاً- الجزائر:

فيما يخصّ الجزائر سننتقل إلى أهمّ المنظمات التي تشكّلت بالجزائر ثم المنظمات التي أسّسها الجزائريون الذين كانوا يدرسون بفرنسا، ثم التي أسّسها الطلبة الجزائريون بتونس:

أ. داخل الجزائر:

1. الجمعية الودادية للتلاميذ المسلمين في شمال إفريقيا (A.A.E.M.N.A): بعد أن قامت الجمعية العامّة للطلبة الجزائريين (A.G.E.A) التي تأسّست سنة 1885م، بطرد الطلبة الجزائريين المسلمين من صفوفها¹ كان رد مجموعة من هؤلاء تأسيس الجمعية الودادية للتلاميذ المسلمين في شمال إفريقيا كما يسميها البعض بـ "ودادية الطلبة المسلمين لإفريقيا الشمالية" (A.E.M.A.N) والتي تأسّست في مارس 1919 بالجزائر العاصمة وأعلن عنها في الجريدة الرسمية في 15 أبريل 1919م²، كما يقال أنها تأسست تحت اسم "رابطة الطلبة الأهالي" وغير اسمها فيما بعد إلى جمعية "الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا"³، وقد تشكل أول مجلس إداري لها من "بلقاسم بن حيليس رئيسا، الهادي بن سماية نائبا

¹ -Ben jamin Stora et Zakya Daoud, **ferhat abbas, un'autre Algérie**, gasbah éditions , Alger , 1995, p42.

² -لخضر عواريب، المرجع السابق، ص12.

³ -خير الدين شترة، المرجع السابق، ص164.

الفصل الأول: الحركة الطلابية بالجزائر وتونس - عوامل ظهورها وأهم اتجاهاتها

للرئيس، الجيلالي بن تامي كاتباً، عليوة مداني كاتباً مساعداً، محمد بومالي أميناً للمال، منصورى عبد الله مكلفاً بالمكتبة¹.

كان المقر المركزى للجمعية رقم 02 نهج المسبكة بالجزائر، ثم تحول إلى نهج ايسلي رقم 65 وقد كانت فى أول الأمر شبه تابعة للاتحاد الوطنى للجمعيات الطلابية بفرنسا، وقد بدأت الجمعية ذات صبغة تعاونية هدفها الاهتمام بقضايا الطلبة المادية والمعنوية، ومناقشة قضايا الدراسة، دون الخوض فى القضايا السياسية من أجل تجنب أى مضايقات فرنسية². ومن أجل تحقيق أهدافها، قامت الجمعية بعدة نشاطات منها:

- عقد ندوات وفتح مجالات النقاش للطلبة حول مختلف المحاور الضرورية.
- منح إعانات وقروض للطلبة المحتاجين، وفى هذا الإطار شكلت الجمعية لجنة مالية تتكون من أربعة أعضاء أسندت إليها مهمة تحضير ملفات قروض الطلبة المحتاجين وتقديمها إلى مجلس الإدارة للتصويت عليها.
- تأسيس مكتبة لمساعدة الطلبة فى تحضير مذكراتهم وبحوثهم أو للثقافة العامة.
- تأسيس ناد خاص بالجمعية، وقد عمل فرحات عباس منذ سنة 1926م على اقتناء محل استطاعت بفضل الجمعية أن تؤسس ناد خاص هو نادى " الطالب المسلم ومطعمه".
- المشاركة فى مختلف المشاريع الخيرية التى تقوم بها مختلف الجمعيات والنوادي³.
- كما أصدرت الجمعية سنة 1927م نشرية، أبرزت فيها معالم حياة المنظمة منذ تأسيسها إلى ذلك الحين، غير أنها ولأسباب مادية عدلت عنها، وأنشأت مجلة " التلميذ" سنة 1931م، وكانت هذه المجلة شهرية تصدر بالعربية والفرنسية، وكانت تهتم أيضاً بقضايا الإصلاح، ويشارك فيها كتاب سياسيون مستقلون أمثال: أحمد توفيق المدني، كما تنقل المقالات والأشعار عن كتاب وشعراء المشرق العربى⁴.

¹ - عواريب، المرجع السابق، ص13.

² - أحمد مريوش، المرجع السابق، ص96.

³ - عواريب، المرجع السابق، ص13، 14.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، دار الغرب الإسلامى، لبنان، ص105.

الفصل الأول: الحركة الطلابية بالجزائر وتونس - عوامل ظهورها وأهم اتجاهاتها

وفي 20 نوفمبر 1927م، تشكل مكتبا جديدا للجمعية، نكوّن من: فرحات عباس رئيسا غريب إبراهيم نائب الرئيس، معيزة علي نائب ثاني، كبّاس علي كاتباً ونائبه زناتي آكلي وأمين المال علواش مصطفى، وابن العابد عبد الرحمن أمين المكتبة¹.

وبعد ثلاث سنوات من تأسيس الجمعية، وبالنظر إلى النتائج التي حققتها والنفوذ الذي اكتسبته في الأوساط الطلابية، بادرت قيادة الجمعية العامة لطلبة الجزائر (A.G.E.A) إلى التقرب من الودادية داعية إياها للتدارس معها في أمر انخراط الطلبة الجزائريين في الجمعية وبعد تعديل المادة موضوع الخلاف سنة 1929م، تمّ الاتفاق على قبول انضمام الطلبة الجزائريين إلى الجمعية في إطار انضمامهم إلى الودادية وهذا يعني أن هذه الأخيرة عضو في الجمعية بموجب الاتفاق الذي وقعه رئيس الودادية الطالب "حسين صديق" و"بول سورين" (Paul Saurin) ممثل الجمعية، وخلال 10 سنوات من 1925 إلى 1935 من حقق التعاون بين المؤسسين عدة نتائج لعل أهمها هو فتح المجال أمام الطلبة الجزائريين لنشر مقالات في منشورات الجمعية والتعريف بنشاط الودادية وكذا تعيين الطالب فرحات عباس في الوفد الفرنسي الذي شارك في أشغال المؤتمر الثاني عشر للكونفدرالية الدولية للطلبة الذي انعقد ببروكسل سنة 1930م، وكذلك تعيينه كنائب لرئيس الاتحاد الوطني لطلبة فرنسا (UNEF) سنة 1931م².

وقد تضاعفت مؤشرات التعاون في جوّ من الصداقة الصريحة والنية الحسنة المتبادلة خلال 05 سنوات الأولى، فلقد ظهرت عدّة مقالات حرّرها بعض الأهالي أمثال عزيز كسّوس وسعد الدين بن شنب، كما عرض ممثلو الجمعية تظلمات نظائرهم الطلبة الأهالي، وخاصة ما تعلق بوضعيتهم تجاه الخدمة العسكرية³.

2. شبيبة المؤتمر الإسلامي الجزائري: تأسست هذه الجمعية عقب انعقاد المؤتمر الإسلامي الجزائري سنة 1936م، وكان على رأسها الأمين العمودي (وهو من العلماء)، وخلال

¹ - أحمد مريوش، المرجع السابق، ص94.

² - مازيغي، عبد اللاوي، المرجع السابق، ص44، 45.

³ - غي برفيلي، النخبة الجزائرية الفرانكفونية (1880 - 1962)، تر: م حاج مسعود، أ. بكلي ع بلعر يي، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007، ص160.

الفصل الأول: الحركة الطلابية بالجزائر وتونس - عوامل ظهورها وأهم اتجاهاتها

عدة أسابيع أصبحت هذه المنظمة تضم حوالي 20 شعبة، و 04 آلاف عضو، وكانت تقوم بنشاط عام، بما في ذلك دروس في العربية والفرنسية يقوم بها الأعضاء أنفسهم وكانت منظمة منضبطة كأنها عسكرية وبزيّ شبه عسكري موحد، وكانت قريبة من العلماء وأصبحت محلّ تأثيرهم في المستقبل¹.

ب. التنظيمات الطلابية الجزائرية في فرنسا:

(1) **جمعية الطلبة المسلمين الجزائريين بفرنسا: (AEMA أو AEMF)** صوتت الجمعية العامة لجمعية الطلبة المسلمين بشمال إفريقيا في 28 فيفري 1930م، وبمبادرة من أمينها العام المغربي "أحمد بلافريج"² على إقصاء الطلبة المسلمين الحاملين للجنسية الفرنسية وبيّر ذلك بأنه: >> ليس من الإنصاف أن يستفيد بعض الطلبة من تسهيلات الجمعية وهم يتمتعون في ذات الوقت بالامتيازات الممنوحة لهم بموجب جنسيتهم الفرنسية، كما أن (ج.ط.م.ش) هي جمعية إسلامية وأن المتجنّس يتجرد من إسلاميته<<³.

أبدى معظم الطلبة الجزائريون معارضتهم للقرار باعتبار أن التجنيس ليس له في الجزائر نفس المفهوم المتداول في البلدان المجاورة، وأن ربط إسلام الأشخاص بعدم أخذ الجنسية الفرنسية يشكل في نظرهم إعلانا بتحوّل الجمعية من الطابع النقابي الطلابي إلى العمل السياسي.

ونظرا لعدم الاستجابة لموقفهم فقد قرّروا سنة 1930م، تأسيس جمعية خاصة بهم وهي "جمعية الطلبة المسلمين الجزائريين في فرنسا" و تم تشكيل أول مكتب لها تحت رئاسة

¹ - سعد الله، المرجع السابق، ص 107.

² - أحمد بلفريج: ولد بالرباط سنة 1908م، ودرس في ثانويتها العصرية " ثانوية مولاي يوسف"، ثم درس في القاهرة، ثم في باريس التي حصل فيها من جامعة السوربون على الإجازة في الأدب، ساهم في تأسيس (جمعية طلبة ش.إ.م) كان من الرعيل الأول للحركة الوطنية المغربية وأسس كتلة العمل الوطني سنة 1930م، اعتقل سنة 1944 ونُفي إلى كورسيكا وبعد الاستقلال عين وزيرا للخارجية سنة 1956، ثم رئيسا للحكومة 1958م، توفي في أبريل 1990م، يُنظر: عبد الإله بلقزيز وآخرون، الحركة الوطنية المغربية والمسألة القومية (1947 - 1986)، محاولة في التأريخ، ط01، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 1992، ص 272

³ - René gallisot, **mouvement ouvrier, communisme et nationalisme dans le monde arabe**, Les Editions ouvrière, Paris , 1978, p94.

الفصل الأول: الحركة الطلابية بالجزائر وتونس - عوامل ظهورها وأهم اتجاهاتها

طالب الطب "مقران بن زيتوني" وضم طلبة أصبحوا فيما بعد شخصيات بارزة في الحركة الوطنية¹.

أعلنت هذه المنظمة عن توجهاتها بكل وضوح حيث انتخبت "موريس فيوليت" (Maurice Viollette) رئيسا شرفيا لها، وفي أثناء ذلك دافع الطلبة الجزائريون عن "حنفي لهمك (حسني لحق) الذي أثار غضب جمعية العلماء بسبب تأليفه كتابا مُعاديا للإسلام ومناديا بتحقيق الاندماج².

كما كانوا يتعايشون مع الطلبة الفرنسيين وانضموا إليهم في جمعية فرنسية للطلبة الشمال إفريقيين المفتوحة للجميع دون تمييز عرقي أو ديني، كما وافقوا أيضا على المشاركة في إنشاء النادي الفكري المتوسطي من طرف بلدية باريس، والموجه لاستقبال كل الطلبة القادمين من شمال إفريقيا³.

وكان الطلبة الجزائريين المحسوبين على النخبة سواء في باريس أو الجزائر مصريين على إبقاء حركتهم في إطار السلطة الفرنسية و هذا ما يؤكد فرحات عباس قائلا: >> لا تزال مشاعر الطلبة المسلمين اليوم كما كانت عليه بالأمس، وستكون عليه غدا، أي نفس المشاعر التي يحملها رفاقهم الفرنسيون، نحن نعتقد بأننا قد بينا وجهة أهدافنا المثالية وهي العمل في نظام تحت إشراف فرنسا الكبيرة لنرفع مستوى مجتمعنا فلنترك قوانين التطور تعمل عملها>>⁴.

هذا التوجه الذي سلكته الجمعية كان قويا وحقق انتشارا في أوساط الطلبة الجزائريين خلال السنوات التي لم تشهد تطورا ملحوظا للحركة الوطنية المطالبة بالاستقلال إلا أن زيادة قوة هذه الحركة وانتشارها في أوساط المهاجرين والطلبة أدّى إلى تناقص نشاط هذه الجمعية لتختفي تماما في سنة 1937⁵.

¹ - مازيغي، وعبد اللاوي، المرجع السابق، ص 64.

² - عبد الله حمادي، المرجع السابق، ص 106.

³ - غي برفيلي، المرجع السابق، ص 164.

⁴ - Alger Etudiant, N°92, 10 février 1929; p05.

⁵ - مازيغي، وعبد اللاوي، المرجع السابق، ص 47.

الفصل الأول: الحركة الطلابية بالجزائر وتونس - عوامل ظهورها وأهم اتجاهاتها

وهناك بعض الجمعيات الجزائرية الأخرى بفرنسا مثل:

- **جمعية الطلبة العرب:** تأسست سنة 1934م، بمدينة "تولوز" كان أمينها العام طالب الفلسفة الجزائري "عباس علاوة".

- **اتحاد الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا:** أسس هو الثاني بمدينة "تولوز" وبقي تحت رئاسة الطلبة الجزائريين إلى غاية 1952م.

- **جمعية الطلبة المسلمين لمدينة "مونبوليه"** أسسها الطلبة الجزائريون الذين كانوا يدرسون بجامعة مدينة "مونبوليه" وكان أول رئيس لها وهو "أحمد عروة" كما ظهرت **لجنة التعاون بين الطلبة الجزائريين بباريس** "comité d'entraide des étudiants Algériens à Paris" التي ترأسها سنة 1946م طالب الفلسفة الجزائري "كلوش عبد الحميد"¹.

ج. التنظيمات الطلابية الجزائرية في تونس: لم يقتصر دور الطلبة الجزائريين الذين درسوا بتونس، وخاصة الزيتونيين منهم: علي مجرد تلقي الدروس والحصول على الشهادات بل كان لهم دور بارز في مجال الأنشطة الطلابية وتأسيس الجمعيات والانخراط في الأندية الأدبية التونسية ومن أهم هذه الجمعيات.

1. جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين:

لقد كان الطلبة الجزائريين في تونس بحاجة إلى هياكل منظمة تجمع شتاتهم، وتوحد صفوفهم، وتُقرب وجهات نظرهم وتقلل من اختلافاتهم وتسهّل أوضاعهم المادية والمعنوية، ومن هذه الحاجة برزت "جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين" التي استغرق العمل على إخراجها إلى الواقع بضع سنوات لاعتبارات تتعلق بالظروف الصعبة للطلبة هناك². وقد كان لزيارة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي إلى تونس في بداية الثلاثينات واجتماعه بالطلبة دورا كبيرا في التعجيل بظهور هذه الجمعية حيث دعاهم إلى توحيد صفوفهم والتعريف بقضية بلادهم، حينها تبلورت فكرة إنشاء جمعية في أذهان الطلبة الذين كان عددهم آنذاك حوالي 200، وبعد سنتين أي في سنة 1933 أعلن عن تأسيسها³.

¹ - مازيغي، وعبد اللاوي، المرجع السابق، ص47.

² - محمد الصالح الجابري، المرجع السابق، ص97-100.

³ - خير الدين شترة، المرجع السابق، ص216.

الفصل الأول: الحركة الطلابية بالجزائر وتونس - عوامل ظهورها وأهم اتجاهاتها

ترأسها أول مرة الشيخ المهدي البجائي، وكان رئيسها الشرفي الشيخ المختار بن محمود¹، غير أن رئاسة البجائي لم تدم سوى بضعة أشهر ثم ترأسها عبد المجيد حيرش الذي استمر على رأسها حتى نهاية سنة 1934م، وفي سنة 1935 عقدت الجمعية مؤتمرا انتخبت فيه الشاذلي المكي (1912-1988) رئيسا للجمعية، وبقي على رأسها أربع سنوات، وقد تميزت فترته بالعمل المثمر وتدعمت مكانة الجمعية في الأوساط العلمية².

وفي 06 نوفمبر 1936م، عقدت الجمعية اجتماعا كبيرا بقاعة قدماء الصادقية بتونس لانتخاب المجلس الإداري المتكون من 14 عضواً برئاسة الشاذلي المكي ونائبه السعيد بن مخلوف الحجازي، وعزم المجلس الجديد على القيام بأعمال هامة كطبع نشریات سنوية تحوي نشاط الطلبة وأعمالهم النصف شهرية³.

وعلى عهد الشاذلي المكي استقبلت جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين، رئيس جمعية العلماء المسلمين الشيخ ابن باديس ثلاث مرات، وأثناء زيارته كان يُلقى خطابات حماسية ويستحث بها هم الطلبة ويحاول التخفيف من غربتهم، وتعريفهم بالدور المنوط بهم، وأهميتهم بالنسبة للجزائر، ففي احتفالات الجمعية بذكرى الهجرة النبوية ألقى ابن باديس كلمة قال فيها: >>.. نعم أنتم يا أبناء الجزائر يون مهاجرون، هاجرتم من وطنكم لا لتستريحوا منه وتتركوه، فتكونوا هاجرتم بأنفسكم لأنفسكم، بل لتتعبوا أنفسكم ثم تعودوا إليه فتتقنوه<<⁴.

ومن أهم ما قامت به الجمعية في عهد الشاذلي المكي هو إصدارها لأول نشرية تجسد أعمالها وتُعرف بنشاطاتها لدى القارئ، في أرجاء المغرب العربي، وقد اختارت لها تسمية "الثمرة الأولى" سنة 1937م، تعبيراً عن فخرها وهي تقدّم أولى ثمراتها وبادرة أعمالها وما يحدوها من أمل في التقدم والعطاء، وقد اشتملت الثمرة الأولى على ملف حافل بالدراسات الدينية التي لقيت على منبر الجمعية عند الاحتفال بذكرى الهجرة النبوية الموافقة

¹ - محمد المختار بن محمود (1909 - 1976) من علماء الزيتونة ساهم مساهمة كبيرة في الحركة العلمية الإسلامية في الثالث الأول من مطلع القرن، بما كان يكتبه من مواضيع في "المجلة الزيتونية" وتولى هو رئاسة تحريرها، عرف بعلاقته الطيبة بالطلبة الجزائريين وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ينظر: محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص42.

² - أحمد منصوري، صدى الطلبة الجزائريين في الثقافة والكفاح المسلح 1934-1962، ط1، مطبعة مزوار، الجزائر، 2003، ص ص17-18.

³ - عقيب، المرجع السابق، ص44.

⁴ - Jamel Haggui, Op-cit, p88.

الفصل الأول: الحركة الطلابية بالجزائر وتونس - عوامل ظهورها وأهم اتجاهاتها

لسنة 1356هـ، وتضمّن الملف مشاركة رجال الإصلاح في الجزائر وتونس، كما كانت الجمعية تقيم احتفالات عديدة خصوصا بمناسبة استقبال الطلبة الجدد أو توديع الطلبة المتخرجين¹.

وفي شهر أفريل 1946م، أنتخبت هيئتها الإدارية الثانية برئاسة "أحمد بوروح" وقد أسندت رئاستها الشرفية هذه المرة إلى الشيخ الطاهر بن عاشور، ليترأسها بعد ستة أشهر الشيخ عبد الرحمن شيبان، وفي سنة 1947م ترأسها محمد مرزاق وعيّن عمار النجار كاتبها العام².

وخلال هذه الفترة صدرت "الثمرة الثانية" التي كتب فيها العديد من الأساتذة والطلبة وبدأ فيها وعيا سياسيا وتعمقا في مناقشة المشاكل الحادة التي يعاني منها المجتمع وحسّا قوميا عربيا³.

وفي سنوات (1948-1955) تردّد النضال الطلابي بين الارتخاء والانكماش واستمرت كذلك عندما جمّدت جبهة التحرير الوطني نشاط جميع الجمعيات والفروع الطلابية وأعادت بعثها من جديد في تنظيم موحد هو "الاتحاد العام للطلبة الجزائريين"⁴.

¹ - الجابري، المرجع السابق، ص108.

² - شترة، المرجع السابق، ص218.

³ - منصوري، المرجع السابق، ص40.

⁴ - شترة، المرجع السابق، ص218.

ثانياً - تونس:

وفي تونس أيضا سننتطرق لمجموعة من المنظمات الطلابية التي تأسست داخل تونس ثم المنظمات المؤسسة في فرنسا.

أ. داخل تونس:

01. جمعية الشبان المسلمين : تأسست هذه الجمعية في مارس 1928م، على يد عبد الرحمن الكعك¹، في شكل نادي مدرسي أول الأمر، وكان هدفها ظاهريا مساعدة الطلبة الفقراء وسريّا كان نشاطها سياسي، لأنها تحت إشراف الحزب الدستوري الحر، وكان من أعضائها الصادق بسيس² ورشيد ادريس وعزوز الرباعي ويوسف بن عاشور، وحصلت الجمعية على التأشيرة في 19/12/1936م، وذاع صيتها بفعل مواكبة أعضائها تطورات القضية الفلسطينية (1936-1939) كما تنامي نشاطها إثر عقد مؤتمرها الأول بالقيروان (أفريل 1937) وأظهرت تجاوبا مع أطروحات الحزب الدستوري الجديد، كما امتدت نشاطاتها إلى الجنوب التونسي، وكانت بذلك نشاطاتها سياسية بحتة، تحت غطاء تظاهرات ثقافية³.

وفي عشية الجمعة 28 شوال 1356هـ الموافق لـ 31 ديسمبر 1937م، عقدت الجمعية اجتماعا للنظر في مستقبل المعهد الزيتوني والبحث عما يرقى شأن مخرجيه، ألقى خلاله العديد من مشايخ الزيتونة وطلبتها خطابات مثل الشيخ الشاذلي النيفر⁴، ومحمد

¹ - عبد الرحمن الكعك (1890-1945): ولد بتونس وتعلّم بجامع الزيتونة ودرس به، ثم توظف في العدلية لكنه استقال منها، ليعمل في المحاماة، ويؤسس جمعية المحامين التونسيين، وينشئ لها مجلة، ثم يدخل الجمعية الخلدونية وتولى رئاستها لربع قرن، وأصدر المجلة الخلدونية، ينظر أروى النيفر، المرجع السابق، ص39.

² - محمد الصادق بسيس (1914-1978): وُلد بتونس وتعلّم بجامع الزيتونة، والخلدونية ودرس بالفروع الزيتونة، انتسب للحزب الجديد وسُجن بعد أحداث أفريل 1938م، تميّز بدفاع عن القضية الفلسطينية حتى عُرف بالشيخ الفلسطيني، ينظر أروى النيفر، المرجع السابق، ص39.

³ - مجموعة من الأساتذة، المرجع السابق، ص108.

⁴ - الشاذلي النيفر، (1911-1997) ولد بتونس، درس بالزيتونة وتخرج منها، والتحق بالتدريس فيها منذ 1934م، كما درس في المعهد الصادقي ومعهد كارنو، وبعد الاستقلال تولى عدة وظائف منها عضوية المجلس التأسيسي سنة 1956م، ومجلس النواب في 1981م، وعمادة كلية الزيتونة 1977-1981م، ينظر: أروى النيفر، المرجع السابق، ص40.

الفصل الأول: الحركة الطلابية بالجزائر وتونس - عوامل ظهورها وأهم اتجاهاتها

المختار بن محمود ومحمد الهادي بلقاضي والطالب محمود شرشور¹ بحيث حاول كل واحد منهم تقديم عرض عن الحالة المأساوية التي وصل إليها التعليم بالزيتونة ويقترحون بعض الحلول².

وعند اندلاع الحرب العالمية الثانية توقف نشاط الجمعية، وزجّ بأعضائها في السجن، ولم يُطلق سراحهم إلا بعد وصول الألمان لشمال إفريقيا، وخوفا من ملاحقات السلطة لهم عرضوا رئاسة الجمعية على الشيخ محمد الصالح النيفر³، فقبل ذلك بشرط أن يكون حرا في تسييرها، وبذلك استقلت عن الخلدونية واكترى من ماله الخاص مقرا لها. اقتصر نشاطها أول مرة على إلقاء محاضرات مختلفة المواضيع، وشيئا فشيئا ازدادت فروعها، وصار لها نشرات ومجلات مثل مجلة "الشبان المسلمين" و"السيدات المسلمات"، تتناول مواضيع متنوعة ويكتب فيها رجال الأدب والفكر⁴. وقد قامت الجمعية بعدة إنجازات ونشاطات أهمها:

- تعليم الأميين من الجنسين، وإجراء مسابقات في حفظ القرآن في صفوف الأطفال والشباب.

- إحداث محل سكني لطلبة جامع الزيتونة من حفاظ القرآن الكريم، وكان رفض محمد الصالح النيفر للتعاون مع الألمان أثناء الحرب العالمية فقد مهد له الحصول على مقر إقامة للطلبة وأراضي لبناء المدارس كتسهيلات من طرف الإدارة الفرنسية.

- تكوين فرق كشفية وإنشاء جمعية رياضية باسم "النشء الرياضي"⁵.

¹ - محمود شرشور، درس بالزيتونة وهو أصيل الجنوب التونسي، شغل منصب مدير الحزب الدستوري، ومناصب حكومية متعددة منها سفارة تونس بالكويت، ينظر: أروى النيفر، المرجع السابق، ص 81

² - محمد المختار بن محمود، "في جمعية الشبان المسلمين" المجلة الزيتونية، مج2، ج3، تونس ديسمبر 1937م، ص144

³ - محمد الصالح النيفر: وُلد في 26 ديسمبر 1902م، تعلم المرحلة الابتدائية بمدرسة السلام القرآنية، ثم انتقل إلى المعاهد الزيتونية، وتحصل على شهادة التطويع في 1923م، اشتغل معلما في الزيتونة، ثم مدرسا من الطبقة الأولى في ماي 1953م، ثم مديرا للفرع الزيتوني للبنات، ينظر: أروى النيفر، المرجع السابق، ص ص23، 24.

⁴ - نفسه، ص39.

⁵ - Habib Belaid , "La vie associative autour de la zitouna pendant la période coloniale", actes XI^{ème} colloque international autour la zitouna : religion société et mouvements nationalise au Maghreb , et 6 mai 2002 à Tunis , 2^{ème} éditions , Tunis 2006; p25.

الفصل الأول: الحركة الطلابية بالجزائر وتونس - عوامل ظهورها وأهم اتجاهاتها

- كما أنشأت جمعية "الشبان سنة 1945 فرعا نسائيا لبث الوعي بين النساء ويدعى "فرع السيدات المسلمات" كانت تشرف عليه السيدة "سعاد ختاش" زوجة "محمد الصالح النيفر" ومعها عدة ناشطات من أسر تونسية عريقة¹.

2 - **المجمع العلمي التونسي:** أسسه أحمد توفيق المدني في 15 ماي 1924م، رفقة زين العابدين السنوسي، وعثمان الكعك والطاهر صفر، ومحمد بن حسين من أجل رفع المؤهلات العلمية بتونس وإعادة أمجادها العلمية².

وتفيد الإحصائيات الرسمية أن عدد الجمعيات الشبابية التونسية المرخص لها بالنشاط حتى 1937م، قد تطور من 51 إلى 94 جمعية، منها 20 جمعة رياضية، و 25 جمعية مدرسية (طلابية)، و 43 جمعية أدبية ومسرحية، و 06 جمعيات كشفية³، ومن أهم الجمعيات الطلابية: 3 **جمعية الشبيبة المدرسية:** والتي تأسست في أبريل 1932م، وقد رفضت السلطات الاستعمارية الاعتراف بها لذلك احتضناها جمعية قداماء الصّادقية وأشرف على إدارتها كل من الباهي لدغم، وعمار الدّخلاوي، ومن بعده الصّادق المقدّم، ومن أبرز أعضائها "محمود المسعدي، محمد بكير، الطيب العنابي"، ممن عملوا على إلقاء المحاضرات وتنظيم دروس تكميلية لفائدة المدارس الثانوية بالعاصمة، وإقامة المعارض وتنظيم الحفلات بداخل البلاد، ولكن سعت الجمعية إلى توثيق العلاقات بين الزيتونيين والصّادقيين فقد كان من أهدافها خدمة الآداب ونشر اللغة العربية⁴.

4 **جمعية الشبيبة التونسية:** تأسست في جانفي 1937م، برئاسة حسن بن عيسى، وبإشراف هيئة تتركب من 13 عضوا، ويوجد ضمنها عدد معتبر من الجزائريين، تثبت هذه الجمعية للمطالبة بتحسين ظروف دراسة الطلبة وإقامتهم⁵.

¹ - النيفر، المرجع السابق، ص40.

² - أحمد توفيق المدني، حياة كفاح 'مذكرات'، ج01، في تونس (1905-1925)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص329.

³ - مجموعة من الأساتذة، المرجع السابق، ص108.

⁴ - نفسه، ص100.

⁵ - خير الدين شترة، المرجع السابق، ص214.

الفصل الأول: الحركة الطلابية بالجزائر وتونس - عوامل ظهورها وأهم اتجاهاتها

5 جمعية شبيبة شمال إفريقيا الموحدة: أسست سنة 1938م، على يد الجزائري "محمد العيد الجباري" بهدف توحيد الشباب الوطني في الأقطار المغاربية الثلاثة وبعد شهر من تأسيسها وصل عدد منخرطيها إلى أكثر من 100 عضو منهم 40 من طلبة الزيتونة، وكانوا يعقدون الاجتماعات في مقر جمعيتهم¹.

6 منظمة "صوت الطالب الزيتوني": على إثر أحداث الصراع العربي الإسرائيلي في فلسطين وما صاحبه من تحمس شعبي عام للقضية الفلسطينية، وشددت الحكومة الفرنسية قبضتها على الزيتونة، وعرقلت محاولات الإصلاح الزيتوني، فمنعت من إنشاء الفروع وإلقاء المحاضرات وفي ظل هذا الاحتقان كوّن طلبة الزيتونة منظمة "صوت الطالب الزيتوني" وقد شارك مجموعة من طلبة الزيتونة أمثال: عبد العزيز العكري، وعبد الكريم قمحة، ويونس الرويس، والشيخ محمد البدوي، ودخلت هذه المنظمة في صراع مع الإدارة الفرنسية ونظمت الإضرابات والمظاهرات، ونتج عن ذلك إعدام "عبد العزيز العكري" ونفي محمد البدوي، وقتل بعض أعضائها مثل حمزة الدهماني، ومحمد المرزوقي².

ب. الجمعيات التونسية في فرنسا: ومنها:

1 جمعية الطلبة التونسيون بباريس سنة 1919م:

ظهرت هذه الجمعية بباريس، وكان للشيخ عبد العزيز الثعالبي دورا هاما في تأسيسها، كما كان رئيسا لهم رغم أنه لم يكن طالبا آنذاك، ولعل السبب يعود إلى قلة الطلبة بفرنسا خلال تلك الفترة، وقد كانت ذات توجهات سياسية لذلك لم يكتب لها النجاح³.

2 اتحاد طلبة تونس: تأسس سنة 1924م، في باريس كن أعضاءه يجتمعون في مقر الجمعية العامة للطلبة بباريس، ثم منح لهم مقر بالسربون، وقد هدفت هذه الجمعية إلى إشاعة روح الاتحاد بين طلبة تونس بفرنسا ومساعدة الطلبة المحتاجين وحسن توجيه الأولياء الذين يريدون أن يزاوّل أبنائهم الدراسة بفرنسا.

¹ - خير الدين شترة، المرجع السابق، ص215.

² - الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص ص 225 - 226.

³ - لخضر عواريب، المرجع السابق، ص20.

الفصل الأول: الحركة الطلابية بالجزائر وتونس - عوامل ظهورها وأهم اتجاهاتها

وقد ضمّ هذا الاتحاد مختلف طلبة تونس بغض النظر عن انتمائهم العرفية أو الدينية ترأسه الطالب يهودي فرنسي، ينوبه الطالب "أحمد السقا"¹ خريج الزيتونة، أمّا الرئيس الشرفي للاتحاد فكان الباي الحبيب باشا، وكان هذا التنظيم على علاقة طيبة مع السلطات الفرنسية التي لم تبخل بالدعم والمساعدة².

وبعد العرض لهذه التنظيمات وجمعيات طلابية جزائرية تونسية، نتطرق الآن لدراسة نموذج مشترك، وهي جمعية طلابية شارك طلبة الأقطار المغاربية الثلاثة (تونس، الجزائر، المغرب) بباريس وهي:

- **جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين:** التي تأسست في نوفمبر 1927م بباريس، وقد تضاربت الآراء حول المؤسس الحقيقي لهذه الجمعية، فمن جهة نجد فرحات عباس يقول: أن الودادية تحولّت إلى جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا وأنه كان من المساهمين فيها باعتباره رئيسا للودادية حينها، ومن جهة أخرى يقول البعض أن الفضل في تأسيسها يعود لمغربيان "أحمد بلفريج" و"محمد الفاسي"³.

في حين نجد أعضاء مجلس إداري للجمعية يكاد يكون تونسيا بحتا، فالرئيس مثلا هو سالم الشاذلي، والنائب الطاهر صفر، والكاتب العام أحمد بن ميلاد⁴.

أمّا المصالح الفرنسية المختصة بالمستعمرات فقد ذكرت بأن نجم شمال إفريقيا هو الذي أنشأ هذه الجمعية الطلابية⁵.

¹ - أحمد السقا: وُلد بالمنستير التونسية، يوم 03 مارس 1892م، كان والده محمد الصالح يشتغل وظائف هامة في الإدارة التونسية، درس في الزيتونة، وواصل دراسته العليا بباريس، حصل على الدكتوراه في الحقوق، تزوج فرنسية في أوت 1917م، كان له دور في التعريف بالقضية التونسية في فرنسا رفقة الثعالبي: ينظر: علي المحجوبي، **الوطنية التونسية (1904-1934)**، تر: عبد الحميد الشابي، بيت الحكمة، تونس، 1999، ص223.

² - عواريب، المرجع السابق، ص20.

³ - عقيب، المرجع السابق، ص30.

⁴ - أحمد بن ميلاد (1902-1994) بدأ نشاطه مبكرا، فانتسب منذ العشرينات إلى حركة الشباب الاشتراكي، ساهم في تأسيس "جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين" بباريس، كما نشط في الحركة النقابية التونسية ولعب دورا بارزا في مقاومة الأمراض المعدية في تونس، وله عدة مؤلفات، ينظر: أروى النيفر، المرجع السابق، ص76.

⁵ - عواريب، المرجع السابق، ص41.

الفصل الأول: الحركة الطلابية بالجزائر وتونس - عوامل ظهورها وأهم اتجاهاتها

وقد سطّرت الجمعية لنفسها أهدافا تسعى لتحقيقها منها: تكوين قطب من الطلاب وتنشيط الروابط والعلاقات بينهم، والاحتفال بالأعياد الدينية، والتضامن الاجتماعي فيما بينهم، ودفعهم للاحتجاج لحل مشاكلهم¹.

إضافة إلى تشجيع شباب بلدان شمال إفريقيا للمجيء إلى فرنسا لإكمال الدراسة الجامعية، وتسهيل إقامتهم بها، كما تزوّد الطلبة بالكتب والمطبوعات، وتقيم منابر للنقاشات كالدورات والمسابقات².

وتتشكل الجمعية من عدّة هياكل هي:

1. الجمعية العامة: تتكون من الأعضاء العاملين تجتمع مرة واحدة في أول أحد من شهر ديسمبر من كل سنة، وتقوم بمناقشة والمصادقة على التقريرين المالي والأدبي وانتخاب المجلس الإداري.

2. المجلس الإداري: يتكون من 11 عضوا ينتخبون لمدة سنة قابلة للتجديد، وقد أنشأت الجمعية خلال السنة الثانية لجننتين هما:

أ. لجنة القروض الشرفية: تدرس ملفات الطلبة الخاصة بالقروض وتقديمها إلى المجلس الإداري.

ب. لجنة الإرشاد والهداية: تهتم بتوجيه الطلبة الجدد وتعرفهم على مختلف مؤسسات التعليم العالي بفرنسا، وقامت الجمعية بتأسيس نيابات في كل من الجزائر وتونس³.

¹ -Benjamine stora, Op-cit, p 42.

² - عواريب، المرجع السابق، ص43.

³ - نفسه، ص ص45-46.

الفصل الأول: الحركة الطلابية بالجزائر وتونس - عوامل ظهورها وأهم اتجاهاتها

عُقد أول مؤتمر تأسيسي للجمعية سنة 1930م، بقصر التعاون Mutualité بباريس ومن المشاركين صالح بن يوسف¹ ممثلاً لطلبة تونس، وفرحات عباس عن طلبة الجزائر وعلال الفاسي² عن طلبة المغرب الأقصى³.

-مؤتمراتها: عقدت الجمعية عدة مؤتمرات أهمها:

-المؤتمر الأول: انعقد بتونس في شهر أوت من سنة 1931م، بقاعة الخلدونية، وكان الهدف منه تسهيل سبل التعارف بين كافة طلبة الأقطار الثلاثة، ترأسه السيد عبد الرحمن الكعك رئيس الخلدونية، وشارك فيه عن الجزائر وفد طلابي من 7 أشخاص برئاسة فرحات عباس، وكانت موضوعاته تتناول حالة التعليم العربي بشمال إفريقيا والمرأة، وفي نهاية المؤتمر اتفقوا على عقد المؤتمر الثاني في الجزائر⁴.

-المؤتمر الثاني: من 25 إلى 29 أوت 1932م، بنادي الترقى بالعاصمة ترأسه فرحات عباس⁵ حضره وفد عن تونس مكون من 09 أفراد يترأسه المنحي سليم⁶، ووفد عن المغرب يرأسه عبد الخالق⁷ الطريس⁸.

¹ - صالح بن يوسف (1906-1961): أصلي جربة كان من الشبان المدرسين الذين برزوا في الثلاثينات، تميز بمواقفه الصلبة في النصف الثاني من الثلاثينات، وواصل في هذا التصلب في المواقف وبرز بوضوح على إثر اتفاقيات الاستقلال الذاتي في 1955م، حيث ظهر الخلاف واضحا بينه وبين الحبيب بورقيبة، انتهى باغتياله في ألمانيا سنة 1961م، ينظر أروى النيفر، المرجع السابق، ص44.

² - علال الفاسي: وُلد في فاس سنة 1910م، درس في جامعة القرويين، ونال منها شهادة العالمية برز مبكرا كداعية سلف معاد للاستعمار، تصدر حركة الاحتجاج ضد الظهير البربري، تعرض للاعتقال بسبب ذلك، انتخب في سنة 1936م، رئيسا لكتلة العمل الوطني، نُفي إلى الغابون، وعاد إلى المغرب سنة 1946م، وواصل نشاطاته في حزب الاستقلال والتدريس الجامعي بعد الاستقلال إلى أن توفي في رومانيا سنة 1974م، ينظر عبد الإله بلقزيز، المرجع السابق، صص280-281.

³ - مريوش، المرجع السابق، ص101.

⁴ - عقيب، المرجع السابق، ص33.

⁵ - سعد الله، المرجع السابق، ص108.

⁶ - المنجي سليم (1908-1969): درس بالصادقية، ومعهد كارك ثم باريس، كان له دورا بارزا في تأسيس جمعية الطلبة، عاد إلى تونس في أواسط الثلاثينات وانخرط في الحزب الجديد، واعتقل سنة 1938م، ثم اعتقل سنة 1952م، قاد الوفد التونسي للتفاوض حول الاستقلال الداخلي، تولى مناصب حكومية وانتخب رئيسا للجمعية العامة للأمم المتحدة في 1961م، ينظر أروى النيفر، المرجع السابق، ص76.

⁷ - عبد الخالق الطريس: وُلد في تطوان، خلف عبد السلام بنونة على رأس الكتلة الوطنية لشمال المغرب سنة 1935م، أيد وثيقة المطالبة بالاستقلال والتحق بالقاهرة بعد تأسيس الجامعة العربية وعاد إلى المغرب سنة 1948، ينظر: عبد الإله بلقزيز، المرجع السابق، صص277-278.

⁸ - عقيب، المرجع السابق، ص34.

الفصل الأول: الحركة الطلابية بالجزائر وتونس - عوامل ظهورها وأهم اتجاهاتها

- المؤتمر الثالث بباريس 1933م: بناء على قرارات مؤتمر الجزائر فقد تقرر عقد المؤتمر الثالث في فاس لكن السلطات الفرنسية منعت حدوث ذلك، فانعقد المؤتمر بباريس من 26 إلى 29 ديسمبر 1933¹، وقد شارك في المؤتمر 15 عضوا حضر من الجزائر بعض الطلبة أهمهم فرحات عباس وعبد الرحمن ياسين، ومن المغرب الأقصى حضر ثلاث طلبة، وترأسه محمد الفاسي، وتميز هذا المؤتمر بحضور وفد من نجم شمال إفريقيا يضم رئيسه مصالي الحاج كما حضره علال الفاسي الذي كان منفيا بباريس².
- المؤتمر الرابع: عقد سنة 1934م بالخلدونية في تونس، ترأسه المنحني سليم وفد مثل الجزائر الشيخ سعيد الزاهري ومفدي زكريا³.
- المؤتمر الخامس: عقد في تلمسان خلال الفترة الممتدة من 06 إلى 15 سبتمبر 1935م، وحضره وفد عن تونس وآخر عن المغرب، وتم افتتاحه من طرف الشيخ محمد البشير الإبراهيمي⁴.
- المؤتمر السادس: عقد بتطوان المغربية، بعد عدة صعوبات في سبتمبر 1936 برئاسة المنجي سليم⁵.
- المؤتمر السابع: عقد يوم 25 سبتمبر 1937م بتونس بحضور الطلبة التونسيين فقط وقد حاولت الجمعية عقد مؤتمر آخر سنة 1939م، بتونس لكن ذلك لم يحدث، وعندما عرفت هذه الجمعية نوعا من الجمود عمل البعض من عناصرها على تنشيطها من جديد فتأسس سنة 1943 مكتبا جديدا برئاسة الجزائري إبراهيم معيزة، وفي أوائل 1944 جدد المكتب وترأسه حافظ إبراهيم من تونس⁶.
- وما يمكن قوله أن الحركة الطلابية في الجزائر وتونس قد استطاعت أن تنظم نفسها في جمعيات ومنظمات مهيكلية لكل منها نظامها الداخلي الخاص بها، وقد ظهرت في فترات

¹-Stora, Op-cit, p42.

²- عواريب، المرجع السابق، ص87.

³- سعد الله، المرجع السابق، ص111.

⁴- عقيب، المرجع السابق، ص35.

⁵- سعد الله، المرجع السابق، ص112.

⁶- عقيب، المرجع السابق، ص ص38-39.

الفصل الأول: الحركة الطلابية بالجزائر وتونس - عوامل ظهورها وأهم اتجاهاتها

زمنية متباينة وظروف مختلفة، ومنها من كانت خاصة بأبناء بلد واحد، أو جهة معينة سواء في الداخل أو الخارج، ومنها ما جمعت عدّة جنسيات مثل جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين، لكن الملاحظ عليها جميعا أنها تنشط لمدة زمنية معينة ثم تضعف شيئا فشيئا لتختفي تماما، ولحسن الحظ أنها ستظهر في كل اتحادات طلابية قوية سواء في الجزائر أو تونس مع مطلع النصف الثاني للقرن العشرين لتشارك في الثورة جنبا إلى جنب مع كل شرائح المجتمع.

المبحث الثالث: مشاربها واتجاهاتها الفكرية

لاحظنا ممّا سبق، وجود ازدواجية في التعليم، أي أن هناك تعليم فرنسي تمثل في المدارس والمعاهد التي فتحتها السلطات الاستعمارية لتحقيق مآربها الخاصة، وكان خاص بأبناء الأوروبيين، والقلّة من الأهالي، وتعليم عربي يعاني من التخلف وتردي الأوضاع بسبب المضايقات الاستعمارية، ونجده في الزوايا أو الكتاتيب وبعض المدارس الحرة، وهو خاص بأبناء الأهالي الذين رفضوا التعليم الفرنسي، أو لم يجدوا له سبيلا، وقد كان من الطبيعي أن ينتج عن هذه الازدواجية نخب مثقفة من أبناء الأهالي ثقافتها مختلفة واتجاهاتها متنوعة إلى حد التناقض أحيانا. وحتى يتضح الأمر نتطرق للجزائر ثم تونس مستدلين بعدة النماذج.

أولاً- الجزائر: يصنّف الباحث الفرنسي غي برفيلي "Guy périlly" التنظيمات الطلابية الجزائرية من حيث التوجهات إلى ثلاثة أصناف وهي كالتالي:

1. الاندماجية المتكونة من طلبة راديكاليين وطلبة معتدلين حاملين لمشروع الجزائر فرنسية.
2. الإيديولوجية الفرانكوفونية الإسلامية والتي تضم طلبة اندماجيين مدافعين عن الجزائر فرنسية وطلبة حاملين لفكرة الشراكة مع فرنسا ثم فيما بعد لمشروع الجزائر المستقلة.
3. الوطنية الجزائرية التي تضم المعتدلين والراديكاليين والمشاركين في هدف واحد وهو الجزائر المستقلة¹.

ونفهم من هذا أن الحركة الطلابية الجزائرية تحوي ثلاث اتجاهات متميزة وهي اتجاه متطرف في انحيازه لفرنسا وانبهاره بالثقافة الفرنسية وهم الطلبة المجنسون واتجاه معتدل يؤمن بمشروع الجزائر فرنسية مع الحفاظ على الهوية الإسلامية والعربية وفريق ثالث وهو الاتجاه العروبي الإسلامي الذي لم يؤمن أبدا بما آمن به من قبله. ونتعرض لكل اتجاه بما توفر لنا من تفاصيل وشرح بخصوصه:

¹- مازيغي، عبد اللاوي، المرجع السابق، ص49.

الفصل الأول: الحركة الطلابية بالجزائر وتونس - عوامل ظهورها وأهم اتجاهاتها

أ. الاتجاه الفرانكفوني المتطرف (الطلبة المتجنسون):

كانت هذه الفئة نتاج حملات التنصير والتجنيس المنتهجة من طرف الإدارة الاستعمارية، وهذه الفئة قطعت صلتها بماضيها الحضاري وتبنّت الأيديولوجية الاستعمارية وتتكروا للدين الإسلامي، واللغة العربية واعتبروها عائقا أمام تطور الجزائريين¹ وهناك عدّة نماذج تبنت هذا الفكر من بين الأسماء الطلابية اللامعة ونذكر على سبيل المثال الشريف بن حبليس الذي ألف كتابا نُشر سنة 1914م، سمّاه "الجزائر الفرنسية من منظور أحد الأهالي" "L'Algérie française vue par un indigène"² حيث يجسّد فيه أفكار هذه الفئة، ويبين من خلاله أن الجزائر كانت عند مجيء الفرنسيين عبارة عن قبائل همجية متصارعة، وبفضل وصول فرنسا تحقق الأمن وعاد للجزائر الاستقرار، ويدعو إلى نشر التعليم الفرنسي وفتح أبواب الهجرة الجزائرية إلى فرنسا الأم، ويكثر في كتابه من عبارتي "الاندماج، والتقارب، في حين لا يذكر إطلاقا عبارة "شعب جزائري" بمفهومها الصحيح، بكل ما تحمله من مقومات بل ذكره للشعب الجزائري في كتابه يأتي عرضا³.

ونموذج آخر هو المحامي بقاسم ايبعيزن الذي ارتدّ عن الإسلام وسمّى نفسه "أوغوسطين" "Augustin" وتهكّم على الإسلام حيث قال: >إنّ المسيحية هي المذهب الوحيد الذي يعطي لشخصية شباب القبائل شخصية كامل الكرامة، وسيكون ذلك نوعا من البعث لأن الجزائر النصرانية ظلت دائما ميتة تحت غطاء الجزائر الإسلامية<>⁴. كما نجد "حنفي لحماك" "Hanafi lahmak" الذي طعن في الإسلام ودعا إلى الاندماج وذلك من خلال كتابه "رسائل جزائرية" "Lettres Algériennes" الذي كتب مقدمته مورييس فيوليت، حيث يركز في كتابه على تنصله من الإسلام ويوعز إليه تخلف الجزائر ويقول:

¹ - مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، تر:حنفي بن عيسى دار القصة ، الجزائر ، 2007 ص244.

² - Hassan remaoun , "Les Lettres et les politique algériens et la France les étapes d'un regard" , Oran, automne 1996; p03.

³ - عبد الله حمادي، المرجع السابق، ص ص74-79.

⁴ - مريوش، المرجع السابق، ص36.

الفصل الأول: الحركة الطلابية بالجزائر وتونس - عوامل ظهورها وأهم اتجاهاتها

>> أن الأمازيغ شعب لاتيني لا علاقة لهم بالعرب والإسلام>> ونشر كتابه بباريس سنة 1931م، ووجد معارضة شديدة خاصة من العلماء¹.

وكذا عمّار نارون الذي تجنّس وأصبح كاثوليكيًا وهو نائب الرئيس في جمعية الطلبة المسلمين الجزائريين بفرنسا، وقد وجد هذا الاتجاه الكثير من التسهيلات في فرنسا، ففي سنة 1932م تعالت صيحات بعض الأنصار من الطلبة لخدمة هذا التوجه، وساعدهم على ذلك جمعية المعلمين الأهالي، وبعض الطلبة الجزائريين المتواجدين بباريس من منطقة القبائل². كما أنهم شاركوا معهم الطلبة الفرنسيين المتواجدين بالجزائر، وأسسوا "الجمعية الفرنسية لطلاب شمال إفريقيا" (AFENA)، وأصدرت بجامعة الجزائر جريدة Alger Etudiants التي استمرت 12 سنة كاملة، ووسّعت الجمعية من نشاطاتها بباريس وأسست ما يُعرف "بنادي انتلجنسيا البحر الأبيض المتوسط" "Cercle intellectuel de la méditerranée" وذلك خدمة لتعايش الحضارات والثقافات، بغرض إبعاد فكرة الشرقية والتأثر بالفكر العربي عن طلبة المغرب العربي، وخاصة الجزائريين³.

ب. الاتجاه الفرانكفوني المعتدل: رغم ما اكتسبته الفئة الطلابية التي درست في المدارس الفرنسية سواء في الجزائر أو في فرنسا من علوم وفنون، والتعرّف على ما لم تجده في بلدانها، إلا أنها شحنت بقنابل موقوتة لم تكن لتخدم وطنها ورغم أن هذه الفئة انبهرت بالشعارات السائدة في فرنسا وآمنوا بالمساواة وحقوق الإنسان، وطالبوا بإدماج جماعي للشعب الجزائري في فرنسا من أجل الحصول على تلك المساواة وعملوا من أجل ذلك كثيرًا، إلا أن الملاحظ عليهم، أنهم عادوا إلى الحظيرة الوطنية، وعملوا من أجل استقلال الجزائر.

وكنموذج عن هذا الاتجاه فرحات عباس الذي كان يدعو إلى قيام الجزائر الفرنسية، مع أنه بيّن من خلال كتاباته فكرة حق الإسلام في الاحترام كحقيقة بديهية، رغم طمس

¹ - عبد الله حمادي، المرجع السابق، ص48.

² - غي برفيلي، المرجع السابق، ص164.

³ - مريوش، المرجع السابق، ص106. ينظر: الملحق رقم (04).

الفصل الأول: الحركة الطلابية بالجزائر وتونس - عوامل ظهورها وأهم اتجاهاتها

معالمه لزمن طويل، كما يكشف للفرنسيين أن الاستعمار مجرد مغامرة عسكرية اقتصادية وضع لها بُعد ذل النظام الإداري الكفيل بحمايتها¹.

ويصرح فرحات عباس بنفسه أن هذه الاتجاهات الفرانكفونية كانت نتيجة التعليم الفرنسي وتضليلا ته إذ يقول: >>... أمّا كتب التاريخ والكتب المدرسية الفرنسية، فقد جمعت كلها على التبشير بلا وجودية الكيان الجزائري والعمل على إقناع التلميذ أو القارئ أن الجزائر قبل الاحتلال لم تكن سوى قصبة وحكومة تركية مجردة من كل سلطة.. وأنا نفسي قد أقنعتني هذه التظليلات في الخطأ وجعلتني أصدق لا وجودية لهذه القومية <<². كما نجد بعض المثقفين الجزائريين الذي تتفقوا ثقافة فرنسية لكنهم ظلوا أوفياء لعروبتهم مثل مالك حداد الذي درس الحقوق في ألكسين روزفانت ومع ذلك بقي يحب العربية ويدافع عنها ويحمل أفكارا وطنية، وهو من أشهر الكتاب الجزائريين بالفرنسية التي لم يخف حزنه وأسفه أنه يكتب بها، وكان يقول: >> إن اللغة الفرنسية هي غربتي ومنفائي..<<.

ج. الاتجاه الإسلامي العروبي: تكونت هذه الفئة في المدارس العربي الحرة، وخاصة لدى جمعية العلماء المسلمين التي أنشأت المدارس من أجل ضمان تعليم الأطفال الجزائريين، وحمايتهم من الغزو الثقافي الفرنسي، وقد ركّز العلماء على تدريس التاريخ والتراث الوطني التي تعتبر من المقومات الأساسية في البناء الفكري والعقائدي للطلبة الجزائريين ووسيلة محاربة ضد ظاهرة الانسلاخ من الحضارة العربية الإسلامية³.

ويقول غي برفيلي مقولة بليغة في هذا الشأن: >>...إن العلماء الإصلاحيين المدافعين عن الإسلام السلفي بعد أن انضوا منذ سنة 1931م في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فهم يمثلون نخبة الطلبة المتخرجة من المدارس العربية القليلة التي بقيت في الجزائر أو سافرت لاستكمال تكوينها في جامع الزيتونة بتونس أو القرويين بفاس، أو ذهبت أبعد من ذلك إلى مدن المشرق .. ففي تلك الربوع وقعت النخبة تحت تأثير الحركة الفكرية

¹ - فرحات عباس، الشاب الجزائري، ص ص 80-89.

² - مريوش، المرجع السابق، ص 42.

³ - نفسه، ص ص 43-49.

الفصل الأول: الحركة الطلابية بالجزائر وتونس - عوامل ظهورها وأهم اتجاهاتها

المعروفة باسم "النهضة العربية" وبعد الرجوع إلى بلدها قامت بتحريض بن عمومته على العمل لإنقاذ الثقافة الأصلية ومضاعفة عدد المدارس الخاصة، حيث يتعلم أولادهم مقولة الإسلام ديني والعربية لغتي والجزائر وطني...¹.

وإذا كانت الفئتين السابقتين قد لقيتا مساعدة وتسهيلات من طرف الفرنسيين ولو بنسب متفاوتة فقد لحق بأصحاب هذا الاتجاه شتى أنواع المضايقات من طرف الإدارة الاستعمارية ويعبر عن ذلك الطالب عبد الله ركيبي وهو من الطلبة الذين قصدوا الزيتونة لطلب العلم، ((..حقا لقد ذهبنا إلى تونس نحن وغيرنا حبا في العربية لأننا حرمانا منها في وطننا ولكن المشكلة، أننا حين نأخذ الشهادة، نختار ماذا نفعل بها، أمّا من كانوا يتعلمون بالفرنسية من الجزائريين، فلم يشعروا بهذا، لأن أمامهم اختيارات كثيرة، أمامهم التعليم، الإدارة، الوظيفة، أمامهم الأبواب مفتوحة، أمّا نحن فلا فرصة لنا، ومع هذا صمّمنا قراءة العربية، ومازلت أذكر كيف أخرجني أبي من المدرسة الفرنسية بالقوة لكي يرسلني إلى تونس لدراسة العربية...².

وما يمكن قوله أن المجال الثقافي والفكري في الجزائر خلال النصف الأول من القرن العشرين قد تجاذبته عدّة أطراف مختلفة بحسب نوعية التكوين الفكري والاجتماعي والديني، فقد استطعنا أن نميز بين ثلاث اتجاهات إيديولوجية داخل الحركة الطلابية فلاحظنا منها من ذاب وانصهر في الثقافة الفرنسية انصهارا تاما حيث بلغ بهم الأمر إلى أن يرددوا عن الإسلام إلى المسيحية، ويتنكروا لماضيهم وثقافتهم وشعبهم، واتجاهاً آخر انبهر بالحضارة فرنسا الجمهورية لكنه اصطدم بحقيقة فرنسا الاستعمارية لذلك عدلوا عن مواقفهم وعادوا إلى النزعة الوطنية، واتجاه ثالث حافظ على الإسلام والعروبة بكل ما أوتي من قوة وسعى إلى الارتباط بالشرق حيث النهضة العربية بدل الغربية.

¹ - غي برفيلي، المرجع السابق، ص 175.

² - مريوش، المرجع السابق، ص 48.

ثانياً- تونس:

بعد فرض الحماية الفرنسية على تونس نشأ جيل من التونسيين وجد البلاد تزرع تحت وطأة الاستعمار، كما أن الإدارة الفرنسية عملت على محو الثقافة العربية لتستبدلها بالفرنسية وأصبحت تزام الكتاتيب القرآنية وجامع الزيتونة، وبسبب هذا وجدت في تونس ثقافتان متنافرتان ثقافة عربية فرانكفونية، وأخرى إسلامية عروبية.

1. الاتجاه الفرانكفوني: يمثل هذه الفئة من درس بالمعاهد الفرنسية والمعهد الصادقي الذي تأسس سنة 1875م، وخرج الكثير من الذين تعلموا اللغات الأجنبية والعلوم الحديثة، وتثقفوا ثقافة فرنسية، ومن هذه الفئة ستبرز نخبة لتواصل دراستها في فرنسا، وقد تكون أكثرهم من أبناء البرجوازيين الذين سمحت لهم ظروفهم المادية بمواصلة دراستهم في أوروبا، ومع أن عددهم قليل إلا أنه سيكون كافياً لتمكين هذه الفئة من القيام بدور هام في شتى الميادين¹. وقد أسس مجموعة من هذه النخبة في مطلع القرن العشرين جمعية قدماء الصادقية في 23 ديسمبر 1905م، التي جعلت من بين أهدافها نشر الثقافة الغربية والتقدم الثقافي في الأوساط الجماهيرية والعمل على تغيير العقليات وإصلاح الأوساط الاجتماعية والمؤسسات، ومن بين مؤسسي الجمعية شخصيات تنتمي لقطاع المهن الحرة كالمحاميين من أمثال عبد الجليل الزاوش² وحسن القلاتي³ وعلي باش حانبة والأطباء من أمثال حسين بوحاجب وأحمد الشريف والمترجم خير الله بن مصطفى هو رئيسها⁴.

¹- أحمد القصاب، المرجع السابق، ص ص321-322.

²- عبد الجليل الزاوش (1873-1947)، درس في ثانوية سان شارل ثم التحق بفرنسا لمواصلة دراسته بكلية الحقوق والعلوم السياسية، ورجع إلى تونس 1900 بعد تحصيله على الإجازة في الحقوق، شارك رفقة عناصر أخرى في تأسيس "جمعية قدماء الصادقية" سنة 1905م، وفي سنة 1907 أعيد تنظيم المجلس الشورى التونسي وكان عبد الجليل من بين أعضائه، وفي نفس السنة أسس رفقة أصدقائه جريدة "التونسي"، كما شارك في مؤتمر شمال إفريقيا سنة 1908م، ثم أسس "الاتحاد التجاري"، عين والياً على سوسة سنة 1917 وسنة 1934 صار شيخ مدينة تونس، وفي 1935م صار وزيراً للقلم والاستشارة، و1936 عين على رأس وزارة العدل، واستقال منه سنة 1943م توفي سنة 1947، انظر: الصادق الزمرلي، المصدر السابق، ص ص253-271.

³- حسن القلاتي: وُلد بالجزائر العاصمة، وانتقل أهله إلى تونس وهو في سن الواحدة من عمره، درس في الثانوية، وبمعهد كارنو، وتحصل منه على شهادة البكالوريا سنة 1898 والتحق بكلية الحقوق بتولوز وتخرج منها سنة 1902م، ألقي عليه القبض بعد مساندته لليبيين في حربهم، وأبعد لستة أشهر ثم رجع وافق بورقية في مطالبه بخصوص الاستقلال الذاتي، توفي سنة 1966، انظر: الصادق الزمرلي، نفسه، ص ص333، 342.

⁴- البشير الشريف، المرجع السابق، ص85.

الفصل الأول: الحركة الطلابية بالجزائر وتونس - عوامل ظهورها وأهم اتجاهاتها

ومن أمثال هؤلاء محمد الأصرم¹ الذي حضر المؤتمر المنعقد في مرسيليا سنة 1906م، حيث طالب خلاله بنشر التعليم الفرنسي حتى في الكتاتيب القرآنية، ودمج الأطفال العرب بالأطفال الفرنسيين ودعا إلى أن يكون الشبان المثقف ثقافة فرنسية أداة للاتصال بين العرب والفرنسيين وسار في هذا الاتجاه عدة شخصيات أخرى، مما أدى إلى ظهور خلاف مع التيار العروبي بتونس².

وكنموذج آخر عن البرجوازيين الذين زاولوا تعليمهم في المدرسة العربية - الفرنسية ثم معهد الصادقي وأخيرا الجامعة الفرنسية - الحبيب بورقيبة- الذي تأثر بالثقافة والتجارب السياسية السائدة في أوروبا ودرس القانون والعلوم السياسية وشارك في خضم النشاط الفكري والسياسي الذي كان سائدا في أوساط الطلبة التونسيين³.

2. الاتجاه الإسلامي العروبي: لقد تكونت الأغلبية الساحقة من ذوي الثقافة العربية بالجامعة الزيتونية، حيث يركز التعليم على العربية والعلوم الدينية، وقد ظل جامع الزيتونة على مرّ العصور مؤسسة دينية ثقافية لها هيبتها فمنه تخرج مجموع من العلماء كآل النيفر⁴ وآل عاشور وآل بيرم، وتخرج منه الكثير من العلماء غير التونسيين ويقال في هذا الشأن أن الزيتونة سميّ استنادا إلى الآية الكريمة " الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها

¹ - محمد الأصرم، من عائلة برجوازية قيروانية، درس بالصادقية والزيتونة، ثم التحق بفرنسا، وما إن عاد حتى عين معلما بالمدرسة العلوية، ثم تقلد منصب مدير إدارة الفلاحة الحديثة العهد، ونشط في الجمعية الخلدونية، كتاب، "المشروع الملكي في سلطنة أولاد حسين بن تركي" وكتاب الرحلة إلى البلاد السنوسية، شارك في مؤتمر مرسيليا 1906م، وفي إصدار جريدة التونسي، وفي مؤتمر شمال إفريقيا 1908م، وأثناء الحرب العالمية الثانية، درس بالمدرسة الصادقية، وتوفي سنة 1925، ينظر: الصادق الزمرلي، المصدر السابق، ص 177-185.

² - الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 37.

³ - محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال ، تر: محمد الشاوش، ومحمد عجينة، ط3، دار سراس، تونس، 1993، ص 120.

⁴ - عائلة النيفر: يقال أن نسبهم يرجع إلى سيدنا علي - كرم الله وجهه - دخلت الأسرة إلى تونس واستقرت بها في أوائل القرن 12هـ ويحمل هذا اللقب اليوم أسر كثيرة في صفاقس والقيروان وجندوبة وبعض بلاد الجريد ... الخ، ينظر أروى النيفر، المرجع السابق، ص 25.

الفصل الأول: الحركة الطلابية بالجزائر وتونس - عوامل ظهورها وأهم اتجاهاتها

مصباح المصباح في زجاجة الزّجاجة كأنّها كوكب دريّ يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية¹ ليجعلوا من زيتونتهم زيتا يضيء الشمال الإفريقي بنور الإيمان².

وقد مثل الزيتونة رمز الهوية الحضارية العربية الإسلامية للشعب التونسي إذ يمثل لهم عظمة الماضي وضمان الحاضر والمستقبل، وقد كان خريجو الزيتونة يمثلون أغلب المثقفين آنذاك وأثناء الحرب العالمية الثانية وهزيمة فرنسا تأثر أصحاب التكوين الغربي وصار الزيتونة والتعليم أصلا من أصول الروح الوطنية ومظهرها من مظاهر الثورة ضد الاستعمار³.

وقد كانت هذه الفئة تتمتع بانتشار اجتماعي وجغرافي، فقد مثل خريجوها جميع معلمي اللغة العربية في المدارس الحرة وحتى الحكومية، ورجال المحاكم الشرعية والعدول والموثقين وأكثر الأدباء والمحاضرين، وأن المدن الصغيرة والقرى قد انحصر المثقفون فيها تقريبا على الزيتونيين، في حين يتجمع ذوو الثقافة الغربية وأصحاب المهن الحرة في المدن الثلاث الكبرى تونس العاصمة، وصفاقس، وسوسة⁴.

ولم يكن جامع الزيتونة بمنأى عن رياح التغيير والتجديد، إذ تأثر الطلبة التونسيون بالنهضة في سوريا ولبنان ومصر وبأفكار الأدباء المجددين مثل جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة، وغيرهما ممن يدعو إلى الثورة على كل ما هو قديم، فنتج عن ذلك ظهور معركة بين القديم والجديد⁵، وقد تولّد عن شعور الزيتونيين بالنقص اتجاه العنصر الصّادقي إقبالهم على الجمعية الخلدونية لتمكينهم من الحصول على ثقافة عصرية وقد مثلت مكتبتها مدرسة مثالية بالنسبة للزيتونيين العصاميين الراغبين في الإطلاع على التيارات الفكرية القديمة والحديثة وكان للمجلات العلمية والأدبية كالهلال والمنار، والمقطم المتضمنة لعدة

¹ - سور النور - الآية: 05.

² - رابح فلاح، جامع الزيتونة والحركة الإصلاحية في الجزائر (1908 - 1954)، (رسالة الماجستير) مخطوطة، جامعة منتوري قسنطينة، 207-208، ص ص 33-34.

³ - حفيظ طبّابي، "صراع الهوية: الزيتونة والزيتونيين في معترك النضال الوطني والاجتماعي" أعمال الندوة 11 حول الزيتونة، الدين والمجتمع والحركات الوطنية في المغرب العربي المنعقدة في تونس أيام 5-6 ماي 2002، ط2، 2006، ص423.

⁴ - نفسه، ص424.

⁵ - مختار العياشي، الزيتونة والزيتونيين في تاريخ تونس المعاصر (1883 - 1958)، مركز النشر الجامعي، تونس، 2003، ص179.

الفصل الأول: الحركة الطلابية بالجزائر وتونس - عوامل ظهورها وأهم اتجاهاتها

بحوث حول الحضارة الأوروبية والاكتشافات العلمية الأثر الكبير في التحوّلات الثقافية وتغيير العقلانيات في الوسط الزيتوني وكانت الجمعيات الثقافية المختلفة تمثل المكان الممتاز لإلتقاء الطلبة الزيتونيين وتبادل الأفكار¹.

ومن أمثال الطلبة الزيتونيين الذين اشتهروا بدعوتهم للتجديد الطاهر الحداد²، وأبو القاسم الشابي ومحمد علي الحامي الذي ينتمي إلى عائلة فقيرة في قابس، وهو مؤسس جمعية التعاون الاقتصادي التونسي إذ يرى من التزود بالعلوم العصرية وخاصة تطعيم الثقافة الشرقية بالثقافة الغربية أمران ضروريان ليفهم الشباب العربي نوايا المستعمرين الغربيين، ويضاهيهم في معارفهم وينهض ببلاده المتخلفة وقال: >>...فسافرت إذ ذاك أي بعد الحرب العالمية الأولى إلى ألمانيا لأبشر الدراسة بها، وأخذ عن أساتذتها وأكل معلوماتي الشرقية بما يعوزني من أنوار المعارف الغربية>>³.

وقد شهدت ذات الفترة صداما بين الثقافتين العربية والفرنسية، وتجلّت في الصحافة، حيث حمي وطيس المعركة القلمية بين جريدة "التونسي" لسان حال "حركة الشبان التونسيين" التي ظهرت سنة 1907م، باللغة الفرنسية ثم صارت تصدر باللغتين العربية والفرنسية ابتداء من سنة 1909م وبين جريدة "الزهرة" و"جريدة مرشد الأمة"⁴.

ثم تنبه خير الله بن مصطفى رئيس الجمعية لخطورة هذه المنازعات، فسعى إلى الإصلاح ودعا مثقفي الزيتونة والخلدونية إلى المشاركة في إلقاء المحاضرات بالنادي وبالفعل لبّى الزيتونيون هذه الدعوة وألقى العديد منهم محاضرات أمثال الشيخ النخلي⁵

¹ - مختار العياشي، المرجع السابق، ص180.

² - ولد الطاهر الحداد بتونس العاصمة على الأرجح سنة 1899م، في وسط متواضع كان أبوه بائع دواجن، تلقى تعليمه الأول في الكتاب حيث حفظ أجزاء من القرآن، ثم واصل تعليمه في الزيتونة وله عدة مؤلفات أشهرها "امرأتنا في الشريعة والمجتمع"، ينظر: أحمد خالد، أضواء من البيئة التونسية على الطاهر الحداد ونضال جيل ، ط03، الدار التونسية للنشر، تونس 1985م، ص ص3-4.

³ - نفسه، ص172.

⁴ - أحمد القصاب، المرجع السابق، ص ص335-336.

⁵ - محمد النخلي (1867-1924) التحق بجامعة الزيتونة سنة 1304هـ حيث درس على يد الشيوخ سالم بوحاجب ومحمد بن محمود ومحمد النجار تولى خطة التدريس من الطبقة الأولى، توفي بتونس في 1924م وكان عضوا في الجمعية الزيتونية، ينظر الطاهر الحداد، المصدر السابق، ص09.

الفصل الأول: الحركة الطلابية بالجزائر وتونس - عوامل ظهورها وأهم اتجاهاتها

والخضر حسين¹ والطاهر بن عاشور²، وسعت الجمعية الخلدونية على غرار جمعية قدماء الصادقية إلى تنظيم محاضرات شارك فيها عدد من الكتاب والصحافيين ومن هنا يظهر بأن الصادقيين والزيتونيين استطاعوا أن يتعاونوا ويتفقوا داخل الجمعية الخلدونية أو قدماء الصادقية³.

وما يمكن قوله أن الوسط الطلابي والثقافي في تونس كانت تتجاوزه عدة توجهات مختلفة فقد رأينا التيار الفرانكفوني المتكون من الطلبة الذين درسوا بالمدارس المعاهد الفرنسية والتيار العروبي الذي يركز بجامعة الزيتونة التي كان لها الفضل الكبير في الحفاظ على العربية والإسلام بتونس، وقد شهدت هي الأخرى اختلافات بين جيل الشيوخ المحافظين والطلبة والشيوخ المجددين الذين تأثروا بالمدرسة الصادقية وخريجها أو ما يجري في المشرق العربي من تجارب نهضوية، إلا أن الفريقين استطاعا أن يقلصا من تلك الهوة بفضل حكمة بعض الزعماء من الطرفين، كما سوف نلاحظ اندماجهم ووقوفهم جنبا إلى جنب في المعركة ضد الاستعمار.

¹ - محمد الخضر حسين، (1874-1958)، ولد بنفطة التونسية، من أسرة علم، لما بلغ 12 سنة انتقل مع والده إلى العاصمة والتحق بالجامع الزيتوني وحصل على الشهادة العالمية، تولى القضاء ببنزرت حتى عام 1905م، ثم انتقل إلى التعليم فصار مدرسا بالزيتونة والصادقية حكم عليه بالإعدام فهاجر إلى دمشق ثم إلى مصر 1922 حيث عين مدرسا للغة في الأزهر أنشأ جمعية الهداية الإسلامية، وتولى عدة مناصب أدبية في دمشق والقاهرة، ونشط في مجال الصحافة، توفي بمصر في 1958م. ينظر محمد الخضر حسين، المصدر السابق، ص 06.

² - محمد الطاهر بن عاشور (1879-1973) وُلد بتونس العاصمة ونشأ بها، والتحق بالزيتونة سنة 1893م، تحصل على شهادة التطويع سنة 1899، ثم بدأ بالتدريس بالزيتونة، وأضيف إليه التدريس في الصادقية سنة 1900م، ساهم في بعث الجمعية الخلدونية ونشاطها وكان من مساندي أفكار إصلاح التعليم الزيتوني، تولى عدة مناصب مثل القضاء المالكي (1913)م، والفتوى (1923م)، وهو أول من شغل منصب شيخ إسلام المالكي سنة 1932م، تميز بتبحره في علوم الدين، وهو صاحب تفسير (التحرير والتنوير)، ينظر بلقاسم الغالي، من أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم، محمد الطاهر بن عاشور، حياته وآثاره، تونس، ص 27، 30.

³ - أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 338.

المقارنة:

وفي نهاية الفصل الأول وبعد تطرقنا لعوامل وظروف تكوّن الحركة الطلابية في الجزائر وتونس، ثم تعرّفنا على أهم التنظيمات الطلابية في كلا البلدين في الفترة ما بين (1920-1950)، ثم محاولتنا رصد أهم التوجهات الفكرية التي ظهرت داخل الوسط الطلابي، استطعنا أن نجد بعض نقاط التشابه كما هو الأمر بالنسبة لنقاط الاختلاف بين الحركة الطلابية الجزائرية والتونسية.

أولا- أوجه التشابه:

فيما يخص عوامل وظروف تشكل الحركة الطلابية وجدنا بعض العوامل المتشابهة في كلا البلدين، كتضييق الخناق على التعليم العربي في كلا البلدين، وبالفعل فقد حدث ذلك كما بيّنا خلال تناولنا للوضع التعليمي في المدخل، وكذا هناك عامل آخر هو مشاركة الشباب الجزائري كما التونسي في الحرب العالمية الأولى (1914-1918) وما شاهده هؤلاء من مظاهر العدالة والمساواة المطبقة على الأوروبيين فقط، في حين يعاني أبناء المستعمرات من التمييز والتهميش، وهناك أيضا الهجرة نحو أوروبا - باختلاف دوافعها وظروفها- فقد كانت عاملا له أثره في ظهور الحركة الطلابية في كل من الجزائر وتونس من خلال ما استفادته الفئة الشابة وخاصة الطلبة ممّا يجري من تجارب فكرية وسياسية هناك، كما نجد أن هناك عاملا وظرفا تزامنا حدوثه في الجزائر وتونس وهو الاحتفالات الفرنسية بمرور قرن على احتلالها للجزائر، ونصف قرن على احتلالها لتونس، وما أحدثته من استياء لدى مختلف شرائح الذين استفزتهم مظاهر الحقد الصليبي على الإسلام، فأدى ذلك إلى بعث اليقظة في أوساط المثقفين وتلاحمهم وتقاربهم.

كما أنّ هناك عوامل وظروف كانت ذات تأثير مشترك على ظهور الحركة الطلابية ونجدها خاصة لدى طلبة المهجر، حيث يتواجد الطلبة الجزائريين والتونسيين ويمرون بنفس الظروف كمعاناتهم من الأوضاع المادية الصعبة ومن سياسة الإقصاء والتهميش، المنتهجة ضدهم ممّا أدى إلى شعورهم بالضرورة الوحدة والتكتل والذي تجلّى في جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين.

الفصل الأول: الحركة الطلابية بالجزائر وتونس - عوامل ظهورها وأهم اتجاهاتها

وإذا مررنا إلى عنصر المنظمات والجمعيات نجدها تتشابه في التعدد والتنوع سواء من ناحية التكوين الفكري لمجموعة من الطلبة الذين يؤسسون جمعية معينة، أو من ناحية الإطار الجغرافي بحيث لم تنحصر المنظمات داخل تونس أو الجزائر، بل وجدنا طلبة المهجر يكوّنون جمعيات طلابية إما جزائرية أو تونسية خالصة وأحيانا ينضون تحت منظمة واحدة مثل جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين.

وبخصوص المشارب والتوجهات الفكرية التي كان من الطبيعي ظهورها كانعكاس لازدواجية التعليم في كلا البلدين، ممّا أدى إلى ظهور تيارات مختلفة إلى حدّ التنافر أحيانا، ومع وجود اختلافات بسيطة في التيارات الفكرية المكوّنة للحركة الطلابية في الجزائر وتونس، إلا أنّنا نجدها تتشابه في وجود اتجاهين واضحين هما الاتجاه الفرانكفوني الذي يحمل أفكارا غريبة ويدافع عنها، ويحاول تجسيدها في الميدان الاجتماعي، وآخر إسلامي عروبي ثقافته أصلية في البلد تستمد تأثيراتها من المشرق العربي.

والتشابه أيضا في حدوث التنافر بين هذا الاتجاهين الذي أخذ أشكالا مختلفة أبرزها المعارك القلمية التي كانت الصحافة أخصب ميادينها إلا أن الملاحظ عليها جميعا أنها كانت تسير نحو التقارب والالتقاء، وذلك بفعل السياسة الاستعمارية التي لا تُفرق في غالب الأحيان بين الفريقين باعتبارهم جميعا من الأهالي.

ثانيا- أوجه الاختلاف:

فيما يخصّ العوامل والظروف فبالرغم من كثرة التشابه فيها، إلا أنه لا يعني عدم وجود اختلاف في هذا المجال، مثل: أن الجزائر هي من احتوت على الجامعة الفرنسية الكبرى، وبالرغم ممّا يبدو في الأمر من إيجابية، إلا أن الطلبة الجزائريين ممن كان لهم الحظ في الالتحاق بها قلة، كما أن هذه الفئة عاشت كثيرا من التمييز المطبق عليها من طرف الإدارة الاستعمارية ومن زملائهم الطلبة المعمرين، ومع أن هناك بعض الطلبة التونسيين قد واصلوا تعليمهم العالي بجامعة الجزائر إلا أن أغليبتهم كانوا يفضلون الذهاب إلى فرنسا، لذلك يبرز لنا عامل اختلاف آخر هو تكاثر عدد الطلبة التونسيين في فرنسا مقارنة بالطلبة الجزائريين، كما تبين إحصائيات الموسم 1931-1932 أن مجموع طلبة

الفصل الأول: الحركة الطلابية بالجزائر وتونس - عوامل ظهورها وأهم اتجاهاتها

المغرب العربي بفرنسا 206 طالبا من بينهم 171 تونسيا في حين كان الجزائريون 21 طالبا فقط.

هذه الأرقام قد تدلّ على أن هجرة الطلبة التونسيين إلى فرنسا كانت أسهل من هجرة الجزائريين إليها، باعتبارها أنها دولة حامية على الأولى مستعمرة للثانية، وكما يمكن أن تُرجع كثرة أعداد الطلبة التونسيين مقارنة بالجزائريين إلى كثرة المعاهد الفرنسية وكذا المختلطة بتونس وأشهرها الصادقية التي واصل الكثير ممن درس فيها دراستهم العليا بفرنسا.

كما يلاحظ في الجمعيات والمنظمات الطلابية أنها كانت في تونس أكثر منها في الجزائر ويرجع ذلك إلى اختلاف الوضع في الجزائر وتونس، ففي الجزائر كانت القبضة الاستعمارية مشددة والإدارة الاستعمارية تحظر هذه النشاطات وتضع في طريقها مختلف العراقيل، بينما في تونس فقد كانت هناك حكومة تونسية أعضاؤها من أبناء الشعب التونسي باعتبار أن نظام الحماية يحافظ على الشؤون الداخلية للدولة المحمية كما هي، ومع وقوع هذه الحكومة تحت السيطرة الفرنسية إلا أن التعامل معها يكون أسهل وأحسن طبعاً من التعامل مع الفرنسيين مباشرة لاسيما وأنّ هذه الإدارة المحلية قد شارك فيها الكثير من طلبة المدارس الفرنسية من التونسيين والذين كان لهم حسّ وطني، وكانوا يسعون إلى تحقيق إصلاحات في مختلف الميادين ويشجعون المثقفين من الأهالي على نشر التعليم وتأسيس الجمعيات والقيام بالنشاطات الفكرية والجمعوية من أمثال محمد الأصرم، وحسن القلاطي، والبشر صفر، عبد الجليل الزاوش... الخ.

ومع وجود كل هذا فإنه لا يعني عدم تعرض الجمعيات الطلابية والمثقفين التونسيين للمضايقات الفرنسية المختلفة خاصة عند حدوث الانتفاضات والاحتجاجات الداخلية، كما سوف نتطرق لذلك لاحقاً.

الفصل الثاني

النضال الطلابي وموقف الاستعمار منه

المبحث الأول: مواقف الحركة الطلابية من الوضع الثقافي والاجتماعي لبلدانها.

المبحث الثاني: الدور السياسي للحركة الطلابية .

المبحث الثالث: موقف الإدارة الاستعمارية من النشاطات الطلابية .

المبحث الأول: مواقف الحركة الطلابية من الوضع الثقافي والاجتماعي لبلدانهم

بما أن الطلبة جزء لا يتجزأ من المجتمع، وهو شريحة مهمة فيه، فهم يؤثرون ويتأثرون بما يجري في مجتمعاتهم، لذلك فمن الطبيعي أن تكون لهم مواقف من القضايا والمستجدات التي يعيشها المجتمع.

وإذا نظرنا إلى الواقع الثقافي والاجتماعي لكلا البلدين، في فترة الدراسة نجد بأن هناك قضايا بارزة أثارت جدلا واسعا آنذاك لعل أهمها: التعليم، التجنيس، المرأة، ونريد أن نعرف موقف الطلبة منها بدءا بالجزائر.

أولاً- الجزائر:

أ- التعليم: إن موضوع التعليم له أهميته الخاصة عند كل الجمعيات الطلابية باختلاف توجهاتها بحيث نجد أن الجمعيات أسست من أجل الدفاع عن الطلبة، ولم شملهم وحل مشاكلهم المادية والمعنوية وكذا المطالبة بتوفير التعليم في بلدانهم، كما لاحظنا ذلك في أعمال ودادية التلاميذ المسلمين لشمال إفريقيا وجمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين.

ونستطيع أن نستشف أهمية الطلبة بالنسبة لجمعية العلماء المسلمين والآمال التي يعلقونها بالمتقنين في سبيل إنقاذ الجزائر وتحريرها من خلال الرسالة التي بعث بها الشيخ الإبراهيمي للطلبة الجزائريين الزيتونيين، في أفريل 1947م، حيث يقول فيها: >>...أيها العلماء الخيرة أيها الأبناء البررة، حيّاكم الله وبياكم، وأبقاكم عوامل رفع لهذا الوطن وأحياكم وأطال الله أعماركم للعربية تعلون صروحها.. ولهذه الأمة تضمّدون جروحها وتداوون قروحها...<<¹.

ويقول أيضا في نداء وجهه للطلبة الجزائريين المهاجرين في أنحاء العالم >>...إتكم يا أبنائنا مناط آمالنا، ومستودع أمانينا، نعدكم لحمل الأمانة وهي ثقيلة وننتظر منكم ما ينتظروه المُدَلَج في الظلام من تباشير الصبح...<<².

ب- التجنيس: لقد سعت الإدارة الاستعمارية في إطار مشاريعها الاستعمارية المنتهجة ضد الشعب إلى محو الكيان الجزائري سواء من الجانب السياسي أو العسكري أو الاجتماعي

¹ - البشير الإبراهيمي، آثار الشيخ الإبراهيمي، ج02، (1940-1952)، ص153.

² - نفسه، ج03، ص201.

والثقافي، فكان من مشاريعها سياسة الإدماج التي أرادت من خلالها تحويل الجزائريين إلى فرنسيين لإلحاق الجزائر بفرنسا واعتبارها جزء لا يتجزأ منها، وقد واجهت هذه السياسة مواقف مختلفة ومتناقضة من طرف المتقنين الجزائريين.

مما سبق لاحظنا أن مجموعة من الطلبة الجزائريين الذين درسوا بفرنسا، وقبلوا التجنيس بالجنسية الفرنسية، حيث بلغ الأمر ببعضهم إلى اعتناق الديانة المسيحية والتخلي عن دينه الإسلامي، أمثال: عمار نارون، حنفي لحمك،.. مما أدى بأعضاء جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا إلى طردهم من الجمعية نهائيا، حيث أسسوا جمعية خاصة بهم سموها "جمعية الطلبة المسلمين الجزائريين بفرنسا".

وهناك فئة أخرى قبلت الإدماج مع شرط الحفاظ على المقومات الشخصية للشعب الجزائري، وذلك أملا في الحصول على المساواة مع الفرنسيين في إطار الدولة الفرنسية، وأهم نموذج عنهم هو فرحات عباس الذي كان طالبا نشيطا في ودادية التلاميذ المسلمين في شمال إفريقيا ثم جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين، ثم دخل غمار السياسة، ليلحظ فكره السياسي تطورا مستمرا، فمن خلال المقالات التي كان يكتبها في جريدة "الوفاق الفرنسي - الإسلامي" "L'entente France - musulmane" التي كانت تصدر ما بين 1933-1939م في إطار اتحادية المنتخبين المسلمين الجزائريين، ففي مقال عنوانه "على هامش الوطنية فرنسا هي أنا" نشر في 27 فيفري 1936، نفى فيه وجود وطن جزائري عبر التاريخ، ولكنه وفي نفس الجريدة نجده بتاريخ 15 ماي 1937م، يكتب مقالا بعيدا عن هذه الفكرة، وعنوانه "في خدمة العامة"، أكد فيه أنه يفضل أن يبقى أهليا ما دامت أغلبية المسلمين لم تتحصل على حريتها السياسية والاقتصادية رافضا التجنس الفردي والامتيازات التي يمنحها الاستعمار للأقلية من الجزائريين¹.

والفئة الثالثة التي وقفت رافضة لهذا القانون من أساسه وتمثلت في المدرسة الإصلاحية فقد حمل طلبتها نفس الفكر الذي تبناه الشيخ عبد الحميد بن باديس من هذه القضية، حيث يرد عن مقالة فرحات عباس السابقة: >> فرنسا هي أنا << بقوله: >>...إنكم

¹ - عز الدين معيزة، فرحات عباس والحبيب بورقيبة دراسة تاريخية، وفكرية مقارنة (1899 - 2000)، (رسالة دكتوراه) مخطوطة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010، ص ص 119-120.

لا تمثلوننا أبداً، ولا تتكلمون باسمنا... لقد بحثنا في صفحات تاريخ الجزائر ماضيها وحاضرها فوجدنا الأمة الجزائرية الإسلامية متكونة وموجودة ... وأيضاً فهذه الأمة الجزائرية مسلمة وليست هي فرنسا ولا تستطيع أن تكون فرنسا... <¹.

ج- المرأة: رغم أهمية هذه القضية الاجتماعية إلا أننا لا نجد لدى أغلب المنظمات الطلابية الجزائرية اهتماماً بها، مقارنة بتونس، إذ استثنينا المدرسة الإصلاحية فمن خلال أفكار وخطابات أهم رجال الجمعية يُلاحظ الأهمية التي أولوها للمرأة، ودافعوا عن تعليم المرأة، ولاشك أن طلبة الجمعية والمنظمات الطلابية التي تحمل فكر جمعية العلماء المسلمين تقف نفس الموقف الذي تبناه أساتذتهم وشيوخهم من قضية المرأة إذ يقول ابن باديس: <>...إنّ المرأة شقيقة الرجل، وتشكل نصف المجتمع وهي الركن الركين الذي يقوم عليه بناء الأسرة، فإهمال تربيتها وتركها جاهلة هو هدم لهذا الركن وتفكيك للبناء الأسرة، وإضعاف لقدرتها على الاضطلاع بمسؤولياتها التربوية والاجتماعية...><.

ويقول أيضاً: <>... إنّ البيت هو المدرسة الأولى والموضع الأول لتكوين الرجال وتدين الأم هو أساس حفظ الدين والخلق...>< وحرص ابن باديس على فتح المدارس وتعليم البنات مجاناً².

وتحدّث الشيخ الإبراهيمي في محاضرة ألقاها سنة 1953م، في جمعية الشبان المسلمين بتونس بعنوان "المرأة المسلمة في الجزائر"، عن الواقع الذي تعيشه المرأة في الجزائر وأنها كانت محرومة من التعليم باستثناء بعض الكتاتيب، ثم فتحت المدارس الفرنسية التي تخوّف منها الأولياء في بداية الأمر لكن شيئاً فشيئاً زاد أعداد الفتيات اللاتي يدرسن في المدارس الفرنسية، وبنه الشيخ لخطورة ذلك الأمر، ويسمى دراستها بالمدارس الفرنسية بالفجر الكاذب، أما الفجر الصادق لتعليم المرأة الجزائرية فهو يبدأ من سنة 1931م، وهو عام تأسيس جمعية العلماء المسلمين ومجهوداتها في سبيل الرقي بالمرأة الجزائرية³.

¹ - يوسف منصورية، الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية ما بين الحربين العالميتين (1919-1939)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص33.

² - إيمان محمد علي نونو، "دور زعماء الإصلاح تجاه المرأة في الجزائر في العصر الحديث"، دورية كان التاريخية، ع12، جوان 2011، ص99.

³ - البشير الإبراهيمي، آثار الشيخ الإبراهيمي، ج4، (1952-1954)، ص ص262-266.

وما يمكن قوله أن قصيتي التعليم والتجنيس كان لهما الصدى الكبير داخل أوساط الطلبة الجزائريين بمختلف توجهاتهم، فإذا اتفقوا على ضرورة نشر التعليم وتشجيعه بين الأهالي... مع الاختلاف في نوعيته وأهدافه.. فإن قضية التجنيس كانت محل اختلاف واضح بين التوجهات الطلابية الجزائرية الثلاثة، فوافقه الطلبة المتجنسون الذين بلغ بهم الأمر إلى التخلي عن دينهم، وكل ما يربطهم بماضيهم، وطالب به البعض كوسيلة لتحقيق المساواة بين الجزائريين والفرنسيين، وعارضه التيار الثالث معارضة شديدة وحاربه بكل ما أوتي من قوة، أما قضية المرأة فلم نجد لها صدى لدى الطلبة من الاتجاهين الأول والثاني، وقد يعود ذلك إلى بُعدهم عن القاعدة الشعبية وانشغالهم إما بالعيش في فرنسا أو المطالبة بتحقيق مطالب أخرى على العكس من ذلك نجد التوجه الثالث الذي يمثله طلبة جمعية العلماء وشيوخها هم من كانت لهم مواقف واضحة في هذا المجال، وهذا يعود بالطبع إلى أن هذا التوجه نابع من عامة الشعب ويمثل المجتمع الجزائري.

ثانياً- تونس:

أ- التعليم: سبق وأن تحدثنا في المدخل عن الوضع التعليمي في تونس وأنه كان مزدوجاً فالأول تعليم فرنسي عصري خاص بأبناء المعمّرين والبرجوازيين من التونسيين، والنوع الثاني تعليم عربي في الكتاتيب القرآنية ثم في الزيتونة التي كان التعليم فيها متأخراً والطلبة الزيتونيين يعيشون أوضاعاً صعبة منها ما كانت بسبب الفساد الذي دب في إدارته وأساتذتها بحيث يقول محمد الصالح النيفر في هذا الشأن: >>... كنت أرى العلماء المنتسبين إلى الإسلام يترفعون عنّ دونهم، ويتقربون إلى ذوي الجاه والسلطان، وتختلف أقوالهم باختلاف المقامات والمجالس... وكان في السلام عليهم جانب من الانحناء.. وفي الجوامع التي يكون خطبائها من أكابر العلماء يحضر درس الختم أمير البلاد في موكب فخم ومعه الوزراء ويشهده العلماء والمتفقون والناس...<<¹.

كما أن هناك مقولة أخرى نشرت في جريدة المنار سنة 1904م، ونُسبت إلى عبد العزيز الثعالبي جاء فيها: >>... إنّ لنا علماء لكنهم جاهلون متكبرون متغابنون وهم آلهتنا

¹- أروى النيفر، المرجع السابق، ص ص61-62.

حديثهم بطونهم، وتدقيقاتهم ومباحثهم خاصة بعجائب التكايا وكرامات القبور، وعلمهم كعلم آلهة الآشوريين لا يزيد ولا ينقص... ولا يتجدد ولا ينعدم، وهو محصور في تصريف أكل يأكل، أكلاً...¹.

كما كانت جامعة الزيتونة آنذاك تُعتبر مؤسسة دينية خاصة لا علاقة لها بالوظيفة العمومية وامتيازاتها، وكان مدرسوها يتقاضون أجوراً زهيدة من وزارة الأوقاف، كما أن شهادات خريجي الزيتونة، لم تكن تعادل شهادات الكليات الحكومية².

زد على ذلك الواقع المعاش في أماكن سكنهم، حيث كانوا هم من يتولون طبخ طعامهم وتنظيف ملابسهم، وغرفهم مع نقص الماء والضوء الطبيعي، ممّا جعل المكان يفتقر إلى شروط الصحة فيتسبب ذلك أحياناً في ظهور الأمراض بين الطلبة³.

إنّ شعور الطلبة بالضيق من هذه المشاكل جعلهم يقومون بإضرابات واحتجاجات من أجل المطالبة بتحسين أوضاعهم وإصلاح التعليم الزيتوني، وما شجعهم على ذلك هو كثرة تداولهم للجرائد المصرية مثل "المؤيد" و"الأهرام"، و"المنار"، و"مصبح الشرق" والسورية مثل "جريدة ثمرات الفنون" كما كانت جريدة الحاضرة دائمة الانتقاد وللإدارة المشرفة عن التعليم في الزيتونة⁴.

ومن بين مظاهر الاحتجاج التي قام الطلبة، ما قام به الطالب محمد بن عمران الماجري الذي أسس جريدة سمّاها "المزعج" سنة 1906م، ونشر فيها مقالات انتقد فيها النظارة العلمية وطرق التدريس بالزيتونة⁵.

واشتدت الحركة المطالبة للطلبة حتى نجحوا في تأسيس "جمعية تلامذة جامع الزيتونة"، حيث حضر اجتماعها التأسيسي كل من الطلبة عبد الرحمن الكعك، والطبيب بن عيسى، والأساتذة الصادق النيفر، وبلحسن النجار، ومحمد بن الصادق بن القاضي، في

¹- عبد الرحمن الخلفي، "محمد عبد العزيز الثعالبي، سيرة المجاهد والمصلح الإسلامي"، مجلة إسلامية المعرفة، ع44، لبنان، 2006، ص23.

²- أروى النيفر، المرجع السابق، ص35.

³- الطاهر الحداد، المصدر السابق، ص34.

⁴- الطاهر بن عاشور، المصدر السابق، ص ص 213-214.

⁵- نفسه، ص216.

جانفي سنة 1907م، بمشاركة 200 عضوا انتخب على أثره المجلس المسيّر لها تكون من 11 عضوا برئاسة محمد رضوان، ولكن مع كثرة النزاعات بين الطلبة والأساتذة أجهضت المشروع¹.

بقيت الاحتجاجات قائمة في صفوف الطلبة وشكلوا لجنة طلابية جديدة سنة 1910م، وقاموا بمظاهرات وإضرابات عن الدراسة للمطالبة بإصلاح التعليم الزيتوني. واستطاعت هذه الحركة أن تجمع 400 طالب في التظاهرة، ممّا جعل الحكومة ترسخ لمطالبهم وتشكل مجلس أسندت إليه مهمة اقتراح مشاريع إصلاح، إلا أنه لم يلبّ مطالب الطلبة وأدى ذلك إلى تجدد الإضرابات والتظاهرات أمام قصر الباي نفسه². وقد استمرت المطالبات بالإصلاح، فمن حين لآخر تستجيب الحكومة لمطالبهم وتشكل لجنة إصلاح جديد مثل اللجنة التي كونها الوزير "خليل بوحاجب" مكونة من كبار رجال العلم والإدارة، وعهد إليها بوضع قانون للجامع بغرض ترقية التعليم وترأس الوزير هذه اللجنة بنفسه، وبدأ أعمالها من أفريل 1930م، كما أحدث الوزير الهادي الأخوة³ إصلاحات في التعليم وأصدر قانونا في مارس 1933⁴.

كما دخل جامع الزيتونة سنة 1944 في إضراب دام ما يزيد عن شهرين، وتكونت لجنة للتفاوض مع الحكومة، ولما اطلع المقيم العام الفرنسي على ملف المطالب وعد بتحسين الأوضاع وكان الأمين الباي والوزير الهادي الأخوة يدعم الإضراب وقد أثر هذا الإضراب الزيتوني على اقتصاد البلاد وكان له صدّ في العالم الإسلامي⁵.

¹ - عواريب، المرجع السابق، ص19، وينظر:

- Habib belaid, op, cit, pp 11-21

وكذلك - Mustapha Kraïena, op, cit, pp 62 – 93.

² - الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص42.

³ - الهادي الأخوة (1872-1949) ولد بتونس ونشأ بها وتعلّم بالصادقية، وتخرج سنة 1891م، ارتقى في الوظائف منذ 1892م، حيث تولى خ طة الوزارة الكبرى سنة 1932م، بقي فيها إلى أن مات، ينظر أروى النيفر، المرجع السابق، ص36.

⁴ - محمد المختار بن محمود "جامع الزيتونة من أقدم الكليات العلمية في العالم وأكثرها إنتاجا، فما هي مهمته وهل هو قائم بها"، المجلة الزيتونية، مج2، ج3، تونس، ديسمبر 1937م، ص128.

⁵ - أروى النيفر، المرجع السابق، ص ص 36-37.

ب- التجنيس: في إطار المشاريع الفرنسية الهادفة إلى القضاء على المقومات الإسلامية، وتغليب الثقافة الفرنسية، أصدرت إدارة الحماية عدة قوانين تقضي بتجنيس التونسيين، ومن بينها قانون 1910/10/3م، وقانون 1920/12/20م، ثم محاولة التجنيس بصفة أشمل وأوسع في سنة 1923م، من أجل زيادة حاملي الجنسية الفرنسية لمواجهة الأطماع الإيطالية في تونس¹.

وكان أمر الحكومة الفرنسية يقضي بتجنيس من قضاوا 03 سنوات في خدمة الجيش الفرنسي أحرزوا على شهادة الدكتوراه في العلوم أو الآداب من المعاهد الفرنسية العليا، أو كانوا متزوجين بفرنسيات ولهم منهن أبناء أو قاموا بخدمات خاصة للدولة الفرنسية². ومن المعروف أنه في سنة 1930 عقد مؤتمر عام من طرف رجال الدين سمي بالمؤتمر الأفخارستي الذي سبق وأن ذكرنا بأنه استفز مشاعر جميع التونسيين بما احتوته هذه الاحتفالات من مظاهر حقد على الإسلام.

وفي يوم 1932/12/30م، توفي أحد التونسيين المتجنسين، فاعتبره التونسيون مرتدا لا يجوز دفنه مع المسلمين استنادا للفتوى التي أصدرها " الشيخ إدريس الشريف" وقد حاولت الإدارة الفرنسية نقض هذه الفتوى بأخرى من المجلس الشرعي حول إمكانية قبول توبة المتجنس إذا نطق الشهادتين أمام القاضي، ومن ثمّ يسمح بدفنه في مقابر المسلمين بعد وفاته³.

لم ترض هذه الفتوى إدارة الحماية ولا التونسيين وشهدت تونس سلسلة مظاهرات وإضرابات وقرّر الشعب مقاطعة المتجنسين وعدم الزواج منهم، ومنعهم من الدخول إلى المساجد وحرمانهم من الدفن في مقابر المسلمين⁴.

وقد كان للطلبة حضورا كبيرا في هذه المظاهرات والإضرابات، حيث طالب الطلبة الزيتونيون بعزل الشيخ محمد الطاهر بن عاشور من إدارة جامع الزيتونة، لأنهم رأوا في

¹ - محمد الحبيب بن الخوجة، شيخ الإسلام الإمام الأكبر، محمد الطاهر بن عاشور، الدار العربية للكتاب، تونس، 2008، ص450.

² - البشير بن عثمان، المرجع السابق، ص133.

³ - أروى النيفر، المرجع السابق، ص31-32، للمزيد ينظر: محمد الحبيب بن الخوجة، المرجع السابق، ص450.

⁴ - علّال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ط06، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، 2003، ص73.

فتواه عدم الحزم في التعامل مع قضية التجنيس، وبالفعل فقد حلّ الإضراب بعد تحويل ابن عاشور من مشيخة الجامع إلى مشيخة الإسلام، وإطلاق سراح بعض الطلبة والأساتذة¹.
ج- المرأة: لقد كان لقضية المرأة حضوراً قوياً في تلك الفترة وأثارت جدلاً واسعاً كان الطلبة من أهم الفاعلين فيه.

سبق وأن أشرنا في المدخل لتعليم المرأة في تونس، وعرفنا بأنها لم تكن تحظى بنفس نصيب الذكور من التعليم، لذلك تعالت الأصوات المطالبة بالاهتمام بتعليم المرأة التونسية خاصة من طرف الطلبة والمتقنين، فوجد الحاضرين في مؤتمر شمال إفريقيا "مثل الصديق الزمرلي" يدعو السلطات الفرنسية إلى الاهتمام بتعليم المرأة ويبرز عدم فائدة المدرسة التي فتحت سنة 1900 بالنسبة للمرأة التونسية لأن التعليم كان غالباً بالفرنسية والمعلمات فرنسيات وخوفاً من فقدان المتعلمات لهويتهن، اقترح دعوة معلمات سوريات لتعليمهن².

كما نجد أن جمعية قدماء الصادقية في نوفمبر 1936م، اجتماعاً دعت إليه بعض شيوخ الزيتونة، عرضه المناقشة في موضوع المرأة حيث ألقى رئيس الجمعية محمد العنّابي خطاباً ثم تلاه خطاب الشيخ محمد المختار بن محمود الذي عرض حقوق المرأة في الإسلام، وواقع المرأة التونسية آنذاك وألقى بعده عدة شخصيات كلمات في هذا الموضوع أمثال أحمد بن ميلاد والطاهر صفر محمود المسعدي والمدرّس بليسي كارنو... الخ³.

لكن القضية تجاوزت أمر المطالبة بإصلاح وضع المرأة إلى حدوث صدمات فكرية حول هذا الموضوع ففي سنة 1930 أصدر الطاهر الحدّاد الذي يعتبر أحد خريجي الزيتونة كتابه الشهير "امراتنا في الشريعة والمجتمع"، حيث دعا في هذا الكتاب إلى ضرورة التوفيق بين الأحكام الشرعية الإسلامية، وبين تطور المجتمع، وانتقد نظام تعدد الزوجات⁴ وعدم التساوي

¹ - أروى النيفر، المرجع السابق، ص34.

² - Sadok zmerli, "l'instruction de la femme musulmane, Ce qu'elle doit être", **congrès de l'Afrique nord**, pp 283 – 290.

³ - عثمان الكعاك، "مشكلة المرأة التونسية من حيث التربية والتعليم وآراء المفكرين فيها"، **المجلة الزيتونية**، مج1، ج4، تونس، ديسمبر 1936م، ص211.

⁴ - الطاهر الحدّاد، **امراتنا في الشريعة والمجتمع**، تق: خالد محمد، موفم للنشر 1992م، ص61.

في الإرث بين المرأة والرجل¹، واقترح في هذا المجال إجراء إصلاحات تأخذ بعين الاعتبار التطور الكامل في العقليات بالنسبة للمجتمعات المتحضرة، مبينا أن الوضع الذي تعيشه المرأة مجرد فراغ ودون جدوى.

وقد أثار هذا الكتاب سخط المحافظين، ولاسيما الأوساط الدينية التي طالبت بتحجيره وأدانت لجنة المشايخ الكتاب ومؤلفه الذي سحبت منه الشهادات الزيتونية، وقد كانت هذه القضية محل تعليقات الصحف، كما أثارت مناقشات لدى كافة الصحفيين، فبينما ساندت مجلة "العالم الأدبي" وجريدة "الزمان" الطاهر الحداد، تهجمت عليه بشدة "الزهرة" و"النهضة" و"مرشد الأمة"، ووجهت إليه مختلف الاتهامات كما أصدر الشيخ الحنفي محمد الصالح بن مراد كتابا ردّ فيه على الحداد سمّاه "الحداد على امرأة الحداد"².

كما كان من أبرز الذين جرّوا أقلامهم للكتابة في ميدان تحرير المرأة سنة 1928م الصحفي الهادي العبيدي إذ يقول في نشرته جريدة الصواب في 20 جانفي 1928م، عنوانه "تعليم المرأة والحجاب" وما يلي: >>...إنّ في تحرير المرأة من قيود الاعتقال والحجاب فائدة عظيمة... فبالحرير تتمكن المرأة من تنوير ذهنها بالعلوم والمعارف في ميدان الحياة إلى جنب الرجل، وفي السفور فوائد صحية وعقلية... انظر إلى المرأة المتحجبة كيف أن صحتها سقيمة وسيئة، وفي الحجاب مضار كبيرة تهدّد هذا المجتمع بالدمار والتقهقر...<<³.

إذاً لقد لاحظنا أن الطلبة التونسيون كان لهم حضورا قويا في الميدان الثقافي والاجتماعي لكن الملاحظ أن الطلبة الزيتونيين كانوا هم الأنشط في هذا المجال - دون نفي جهود خريجي الصادقية لإصلاح التعليم - فكثر الإضرابات والاحتجاجات نجدها لدى الزيتونيين وذلك لما يعانيه التعليم الزيتوني من مشاكل وتخلف بينما لا يعاني من يدرس في المدارس الفرنسية من نفس المشاكل، وكذلك الأمر بالنسبة للتجنيس، فقد لاحظنا أنه أثار ضجة كبيرة بين طلبة الجامع، وذلك بما يرون فيه من خطر على المجتمع خاصة عندما تحاول السلطة الفرنسية إقحام الجامع فيها من خلال محاولة الحصول على فتاوى تؤيد

¹ - الطاهر الحداد، المصدر السابق، ص35.

² - أحمد القصاب، المرجع السابق، ص334-335.

³ - أحمد خالد، المرجع السابق، ص254.

التجنيس، أما موضوع المرأة فقد كان مجالا خصبا وميدانا واسعا للنقاشات والتجاذبات الفكرية والإيديولوجية.

وبعد أن تطرقنا إلى بعض المواقف الطلابية في الجزائر، ثم في تونس كل على حدة بخصوص قضايا التعليم والتجنيس والمرأة، نتطرق الآن إلى **جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين** التي أبدت اهتماما كبيرا بهذه القضايا وسجلت مواقف واضحة بخصوصها:

أ- **التعليم**: أولت الجمعية اهتماما كبير جدا بموضوع التعليم، ولعل ذلك يعود إلى أن أعضاء الجمعية كلهم طلبة يعرفون قيمة التعليم، ودوره في تحسين أوضاع بلدانهم والسير بها نحو الاستقلال، كما عايشوا هم بأنفسهم الصعوبات والعراقيل من طرف الإدارة الاستعمارية ويعدّ تواجههم كصلبة يواصلون دراستهم في فرنسا تحدّ كبير، ونستطيع أن نلاحظ مدى أهمية التعليم بالنسبة للجمعية من خلال تتبع جداول أعمال مؤتمراتها.

فالمؤتمر الأول الذي عقد بتونس سنة 1931م، نجد جدول أعماله كالتالي:

1. تدريس اللغة العربية في شمال إفريقيا.
2. إصلاح التعليم بالزيتونة.
3. إصلاح التعليم بالقرويين.
4. التعليم المهني والفلاحي في إفريقيا الشمالية.
5. تعليم المرأة المسلمة¹.

ونلاحظ المؤتمر الثاني الذي عقد بالجزائر سنة 1932 بنادي الترقّي، فكان جدول

أعماله كالآتي:

1. تدريس اللغة العربية بإفريقيا باعتبارها أساس وحدتها.
2. تدريس التاريخ.
3. فتح الأبواب في وجه الطلبة المتخرجين بعد إتمام دراستهم.
4. التعليم الابتدائي².

¹ - عواريب، المرجع السابق، ص76.

² - نفسه، ص81.

وقد اشتمل جدول أعمال المؤتمر الثالث بباريس سنة 1933م، على نقاط جديدة بخصوص التعليم مثل:

- تحضير معلمين ومدرسين بشمال إفريقيا.
- تنظيم البعثات العلمية إلى أوروبا والشرق.
- تحسين حالة طلبة التعليم العالي بإفريقيا الشمالية والخارج¹.
- وتشكل لجان للبحث في المواضيع المقترحة بحيث تدرس الواقع وتخرج بعدة توصيات ومقترحات لإصلاح الوضع.

ب- التجنيس: لقد أبدت الجمعية موقفا صريحا من قضية التجنيس كما لاحظنا في الفصل الأول بأنها قامت بطرد الطلبة المتجنسين وهو ما أدى بهم إلى تكوين جمعية خاصة بهم وهي "جمعية الطلبة المسلمين الجزائريين في فرنسا" وذلك بعد التصويت على اقتراح الأمين العام للجمعية آنذاك "أحمد بلفريج" الذي يبرّر موقفه بقوله: >> ليس من قبيل الإنصاف أن يستفيد بعض الطلبة من تسهيلات الجمعية، وهم يتمتعون في ذات الوقت بالامتيازات الممنوحة لهم بموجب جنسيتهم الفرنسية، كما أن جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين هي قبل كل شيء جمعية إسلامية والحال أن المتجنّس يتجرد من إسلاميته، بحكم تنازله عن قوانيننا .. إن ديننا ليس مجرد نطق بالشهادتين فحسب، بل هي أيضا إيديولوجية مجتمعية ... فلا يكفي إذن أن يحتفظ المتجنس بعقيدته لكي يبقى مسلما كاملا، وإذا تخلى بمحض إرادته عن القوانين الخاصة بالإسلام...<<².

ويعتبر هذا الموقف خطوة مقدمة من طرف الجمعية في رفض السيادة الفرنسية ظلت الجمعية على هذا الرفض، ويلاحظ ذلك في موقفها الرفض للظهير البربري³، وكذلك المؤتمر الأفخارستي بتونس ومسألة دفن المتجنسين بالمقابر الإسلامية⁴.

¹ - عواريب، المرجع السابق، ص87.

² - غي برفيلي، المرجع السابق، ص163.

³ - هو قرار أصدرته الإقامة الفرنسية العامة بالمغرب الأقصى في 16 ماي 1930م، يهدف إلى إبعاد البربر قومية وتشريعيا وثقافيا عن العرب والإسلام، في محاولة لدمجهم في المناخ الحضاري الفرنسي، ينظر: René gallissot, op- cit, p94.

⁴ - مجموعة من الأساتذة، المرجع السابق، ص95.

ج- المرأة: اعتبرت الجمعية قضية المرأة من أهم المشاكل التي يجب حلها والاهتمام بها لكي يتمكن من القيام بمهمتها في تكوين النشأ وغرس الروح الوطنية في الأبناء، وانصبّت جلّ المداخلات حول إبراز دور المرأة في المجتمع، وأنها لا تزال مهمشة ولم تتلّ حقها في منظومة التعليم والشيء الذي تحصلت عليه بعضهن في بعض المدارس، ظل محدود واقتصرت على تلقينهن اللغة الفرنسية على حساب العربية لذلك طالبوا بمعلمات مسلمات لكي يتجنبوا الآثار السلبية للتعليم الفرنسي عليهن¹.

¹- مريوش، المرجع السابق، ص125.

المبحث الثاني: الدور السياسي للحركة الطلابية

كثيرا ما يعتقد أن العمل الطلابي بعيدا كل البعد عن العمل السياسي بالنظر إلى ما نصت عليه القوانين الداخلية للتنظيمات الطلابية، من عدم تدخل هذه الأخيرة في الشؤون السياسية، بقدر سعيها إلى تحسين ظروف الطلبة والدفاع عنهم لكن الدّارس لمسار العمل الطلابي يجد عكس ذلك.

وفي هذا الشأن نستعرض نماذج من التجارب السياسية التي خاضتها أهم المنظمات الطلابية سواء في الجزائر أو في تونس.

أولا- الجزائر:

لقد شكّل التعليم في الجزائر بداية القرن 20م، مصدرا للمناضلين وقيادات وطنية انتسبت إلى الجمعيات ونشطت النوادي وانخرطت في الأحزاب ومن ثمّ فقد أعطت دفعا للحركة الوطنية وللحياة السياسية في الجزائر بصفة عامة:

أ- النشاط السياسي للطلبة داخل الجزائر:

خلال الحرب العالمية الثانية، كانت مجموعة من الطلبة قد أعدت مشروعا، محاولين استغلال فرصة هجوم الألمان على فرنسا، للقيام بثورة ضد هذه الأخيرة، وكان من بين المخططين لهذه الفكرة "شوقي مصطفى" وبعض رفاقه حيث اجتمعوا ببعض زملائهم يوم 18 جوان 1940 ببيت الطالب مصطفى، وكان الطلبة الحاضرون من الجزائر وقسنطينة ووهران، وبعد مناقشات طويلة اتفقوا على الإعداد لثورة مسلحة تتدلع مع بداية أكتوبر 1940م، لكن بعد أن طرحت الفكرة على الأمين دباغين حذرهم من هذا العمل، وبالتالي فشل المشروع¹.

ومما ساعد على اتساع دائرة المقتنعين بفكرة الاستقلال وسط الطلبة هو تحول بعض الطلبة المغاربة والتونسيون لجامعة الجزائر من الجامعات الفرنسية، بعد استيلاء الألمان على فرنسا لاسيما وأن الكثير منهم ينتمون إلى "حزب الاستقلال المغربي" و"الحزب الدستوري التونسي"².

¹ - عقيب، المرجع السابق، ص ص 49-50.

² - غي برفيلي، المرجع السابق، ص ص 194-195.

وفي سنة 1943م كوّن حوالي 07 طلبة من مدرسة الرشاد بالبلدية منظمة جديدة ومنهم حسين عسلة، وعبد المالك تمام، محمود عبدون، وأحمد بن الشيخ الحسين، وكان من نشاطات هذه المجموعة الحملات المتكررة ضد التجنيد وشراء الأسلحة، كما ساهموا في توزيع بيان فيفري 1943م وأصدروا نشرية سموها "العمل الجزائري"¹.

وبتطور وسائل العمل المستعملة لدى تيارات الحركة الوطنية، ازدادت وتيرة الاستجابة الوطنية بين عناصر الطلبة والشباب الذين تربوا في البيئة الثقافية من أدب شعبي، وتمثيل مسرحي ونشاط صحفي، هذا الوعي جعل العديد من الشباب والطلبة يتقربون أكثر من العمل السياسي ويناضلون بأقلامهم لإنجاح المشروع الوطني ونضرب هنا مثلا بمحمد ديب الذي بدأ كتاباته في جريدة الجزائر الجمهورية، ورواياته مثل رواية "الدار الكبيرة" و"الحريق" وقد أثرت في أوساط المتعلمين بالفرنسية لأنها في جوهرها لا تختلف عن الخطاب السياسي الذي كان يدعو إليه "حزب الشعب"².

ومن أمثلة توغل الأحزاب السياسية في الأوساط الطلابية، ما يقوله علي كافي الذي كان طالبا بالمدرسة الكتانية: >> كان الالتحاق بحزب الشعب يتطلب اعتبارا أوليا، غير محدد زمنيا، وبمجرد قبولك في عضوية الحزب، وتصبح أحد عناصره، ... ولما التحقنا بمعهد الكتانية، عام 1946م، كوّنّا خلايا للحزب، وكان المسؤول على الحزب هو لخضر بوزيد، وهو أكبرنا سنا، ... ورغم إقبال الكبير على التنظيمات السياسية، فإن عدد مناضلي حزب الشعب يُعدون على الأصابع بين خلايا معهد الكتانية بسبب الشروط القاسية التي تُفرض على من يُريد الانخراط فيه، ثم اكتسح الحزب الوسط الطلابي بالمعهد الكتاني ...>>³.

وقد نتج عن التوغل السياسي في صفوف الطلبة من طرف الأحزاب إلى اشتداد التنافس فيما بينها للسيطرة على التنظيمات الطلابية، ففي سنة 1946م سجّل لأول مرة تنافس مرشحين على رئاسة ودادية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بالجزائر، وهما عبد الرزاق شنطوف، عن حركة انتصار الحريات الديمقراطية MLTD وحسين ميمون عن الاتحاد

¹ - عقيب، المرجع السابق، ص53.

² - مريوش، المرجع السابق، صص169-170. ينظر: الملحق رقم (05).

³ - علي كافي، مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري (1946-1962)، دار القصة للنشر، الجزائر، 1999، ص22.

الديمقراطي للبيان UDMA وكانت الغلبة للحزب الأول الذي سيطر على الودادية لمدة 03 سنوات بانتخاب شنطوف (1946-1947) وبين لحرش (1947-1948)، وسباعي (1948-1949)¹.

ويعطينا فرحات عباس أمثلة عن أسماء سياسية مشهورة كانت تمارس السياسة في الكليات والثانويات فيقول: >>... وكذلك في الكليات والثانويات خاض الشباب غمار الحركة الوطنية ... إنّ الأجيال الطالعة كانت ترشّف آفاق الحوادث المحمومة والأحداث الملتهبة وتصبو إلى المشاركة في الحرب المذهبية الإيديولوجية التي كانت تقسم العالم، فقد أنجبت ثانوية بلدية مثلاً عدداً عديداً من شبان يلتهبون حماساً، أمثال سعد دحلب، وامحمد يزيد، وبين يوسف بن خدة، عبّان رمضان ... ومن مدارس أخرى تخرجت ثلة أخرى من الشبان مثل أوصديق وآيت أحمد وابن بلة ... وانضموا إلى إخوانهم فعززوا صفوف الجيل السياسي الجديد ... أمّا الجزائريون المتخرجون من جامع الزيتونة أو الأزهر بالقاهرة، فقد جعلوا من العروبة ونهضة الإسلام الشرطين الأساسيين للانبعاث الوطني².

ب- في فرنسا:

إن الوطنية لدى المثقفين الفرنكفونيين الجزائريين ظاهرة متأخرة في أوساطهم إذا قيسَت ببقية الشرائح الاجتماعية التي انخرطت منذ زمن مبكر في الحركات المسلحة أو الأحزاب السياسية، وإن كان هناك استثناءات فردية مثل الأمير خالد خريج المدرسة العسكرية الفرنسية سان سير، حيث نجده يُبادر بصفة فردية إلى مراسلة الرئيس ولسن "Wilson" طالبا منه التدخل من أجل حلّ القضية الجزائرية، وذلك سنة 1919م³.

ومع مرور السنوات تبين للطلبة الجزائريين أن الإقامة والدراسة بفرنسا عكس ما كانوا يتوقعون وتؤكد لهم عدم صحة الاعتقاد بأن الطالب الجزائري في جامعات فرنسا يختلف عن نظيره في جامعة الجزائر، ممّا جعل معظم الطلبة الجزائريين يفتنعون بأن

¹ - مازيغي وعبد اللاوي، المرجع السابق، ص 63.

² - فرحات عباس، ليل الاستعمار، تر: أبو بكر رحال، مرا: عبد العزيز بوباكير، دار القصبة، الجزائر، 2005، ص 152.

³ - عبد الله حمادي، المرجع السابق، ص 64.

امتلاك الثقافة الفرنسية لا يعني الحصول على المساواة مع الفرنسيين، وكان هذا الوضع عاملاً أساسياً في نمو الوعي السياسي للطلبة الجزائريين المقيمين بفرنسا¹.

ومن بين مظاهر النضج السياسي والمطالبي لدى النخبة المفرنسة البرقية التي تستنكر سياسة فرنسا في تونس خاصة، بعد المؤتمر الأفخارستي سنة 1930م، وكانت بإمضاء فرحات عباس وعلي الزاوش وجمال الدين دردور، وتمازالي.. ومما تضمنته البرقية >>إن الطلبة الجزائريين بباريس يحتجون على إيقاف الطلبة التونسيين بتونس من أجل قيامهم بمظاهرة ضد المؤتمر الأفخارستي<<².

وبخصوص جمعية الطلبة المسلمين الجزائريين في فرنسا (AEMA) يُعد الموقف السياسي الأول الذي تبنته في حوالي سنة 1933م، هو إرسال برقية احتجاج إلى الحاكم العام للجزائر لمطالبته برفع القيود المفروضة على حرية ممارسة الدين في الجزائر³.

كما شكّل انعقاد المؤتمر المشترك بين جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا ونظيرتها بالجزائر مناسبة لتدعيم نمو الوعي السياسي لأعضاء جمعية الطلبة الجزائريين بفرنسا حيث سمح لهم هذا الاجتماع بالاحتكاك مع التيارات السياسية وتجسد هذا التحول في موافقة الوفد على الاستماع للرسالة التي وجهها مصالي الحاج إلى المؤتمر لدعوة الطلبة الجزائريين إلى الالتحاق بنجم شمال إفريقيا⁴.

ومع تولي "أحمد بومنجل" رئاسة الجمعية تزايدت شدة التوجه السياسي لهذا التنظيم وظهر ذلك جلياً في احتجاجات سنة 1934م، على حل حزب نجم شمال إفريقيا وسجن قادتها، وكان لحادثة اغتيال الشيخ كحول واعتقال الطيب العقبي وزميله عباس التركي في صائفة 1936م، أثرها الكبير لدى الطلبة سواء في المشرق أو المغرب العربي أو في فرنسا إذ تلقى الشيخ العقبي برقية من الجالية الطلابية بفرنسا بإمضاء الطالب "عمار نارون" رئيس

¹ - مازيغي وعبد اللاوي، المرجع السابق، ص51.

² - مريوش، المرجع السابق، صص172-173.

³ - مازيغي، عبد اللاوي، المرجع السابق، ص54.

⁴ - برفيلي، المرجع السابق، صص180-181.

الجمعية وهي مؤرخة بتاريخ 15 أوت من نفس السنة، ومما جاء فيها: <<إن أعضاء جمعيتنا ليهنؤك بإطلاق سراحكم وبظهور الحقيقة ناصعة>>¹.

ويقول برفيلي في هذا الشأن <>... كان مسار الطلبة المسلمين الجزائريين في باريس مثاليا، فما إن خانهم أولئك الذين كانوا يعتبرونهم محط ثقتهم التامة (الفرنسيين) حتى انتقلوا في ظرف ثلاث سنوات من قطب متطرف إلى قطب نقيض وانتقلوا من خيار التجنيس الفرنسي إلى خيار القومية للمغربية...>².

ج- في تونس:

لم يكن الطلبة الجزائريون في تونس بمنأى عن واقع شعبهم لذلك ظهرت بعض المواقف السياسية خاصة داخل "جمعية الطلبة الجزائريين المسلمين".
فقد سبق وأن ذكرنا أن "الثمرة الثانية" التي أصدرتها الجمعية، قد ظهر وعيا سياسيا وطنيا كبيرا، بحيث نجد أن الجمعية قد عهدت إلى بعض مفكري الجزائر بتزكية "الثمرة الأولى" من أشهرهم "عبد الحميد بن باديس" وبما أن هذا الأخير كان قد توفي عند إصدار "الثمرة الثانية" فقد كلف مصالي الحاج بكتابة مقدمة لهذه النشرة فكتبها بعنوان "دور الشبيبة المثقفة في تكوين الحركة الوطنية بمغربنا" ودعا من خلالها الفئة المثقفة للالتحام بالشعب وقيادة الجماهير للانتصار على المستعمر³.

كما نستطيع أن نستشف البعد الوطني والسياسي من خلال النشيد الخاص بالجمعية والذي يحفظه الطلبة ليؤدى في المناسبات وهو من إعداد محمد الأخضر السائحي إذ يقول في مطلع قصيدته:

سندراً بالسيف عنك العذاب	و نرفع بالعلم فيك العلم
فمن للجزائر غير الشباب	يجاهد بالسيف أو بالقلم
يتوق إلى العيش حراً مهابا	يرى الحرب مستعرا كالسلم ⁴

¹ - مريوش، المرجع السابق، ص174.

² - غي برفيلي، المرجع السابق، ص184.

³ - الجابري، المرجع السابق، ص125.

⁴ - شترة، المرجع السابق، ص218.

ومن النماذج التي تنتمي لجمعية الطلبة الزيتونيين أحمد حماني¹، الذي نشط خلال وجود الألمان بتونس في 1942-1943م، حيث وضع قانونا أساسيا لحزب جزائري جديد هو "الحزب القومي الجزائري" الذي كان من بين مؤسسيه الشيخ دريدي بورنان وبولخراس سلطاني، والداودي صفصاف ومسعود بن بيده الذي عُين رئيسا للحزب، وكان غرض الحزب حسب قانونه هو العمل على تحرير الجزائر واستقلالها لئلا يفهم لم يجدوا دعما من الألمان بحيث طلبوا منهم أن يخصصوا لهم حصة في الإذاعة فرفضوا².

كما كانت للشيخ أحمد حماني اتصالات مع الألمان ضمن مجموعة من أساتذة الزيتونة مثل محمد الصالح ومحمد الشاذلي النيفر، والهادي مجدوب، والقيام بمساع لإطلاق سراح المعتقلين ومنهم الحبيب بورقيبة ثم تتبعته فرنسا آثار المتصلين بالألمان، وتمكنت من اعتقال رفاقه في المنظمة، واختفى هو ب بنزرت حتى مارس 1945م، ثم حوكم محاكمة عسكرية وأطلق سراحه³.

كما أسس محمد العيد الجابري جمعيته التي سبق ذكرها، وهي " شريفة شمال إفريقيا الموحدة"، وهو جزائري تونسي، بحيث ربط علاقات بعلال الفاسي وعبد الخالق الطريس، وأعطاهم بطاقات الانخراط في الجمعية، ووُزعت 600 بطاقة انخراط بالمنطقة الفرنسية بالمغرب الأقصى و 400 بطاقة بالمنطقة الأسبانية، أما الجزائر فقط نشط به 1 هو شخصيا وأسّس فروعاً خاصة لكن فرنسا اعتقلته سنة 1937م⁴.

¹ - الشيخ أحمد حماني، وُلد في 1915/9/6 تعلم تعليمه الأول على يد والده ثم دخل كتاب قريته (أزيار) ثم انتقل سنة 1930م، إلى مدينة قسنطينة وحفظ القرآن بجامع سيدي محمد النجار، وداوم على حضور دروس ابن باديس في الجامع الأخضر، أكمل تعليمه بمعهد قسنطينة سنة 1943م، وفي نفس السنة أرسله والده إلى تونس لإكمال دراسته، فحصل على شهادة التحصيل من الزيتونة سنة 1940م، والعالمية سنة 1943م، ينظر: حداد أحمد، الشيخ أحمد حماني وقضايا عصره، (1333/ 1419هـ - 1915/ 1998م)، (مذكرة ماجستير)، مخطوطة، جامعة منتوري، وقسنطينة، 2007-2008، ص 37-46.

² - نفسه، ص 65.

³ - أحمد حدّاد، المرجع السابق، ص 66-67.

⁴ - أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 168-169.

وقد نشطت الأحزاب السياسية الجزائرية وتوغلت في الحركة الطلابية بتونس حيث يقول علي كافي >>... كان الطلبة في تونس منقسمين ما بين حزب الشعب، وبعثة جمعية العلماء المسلمين...<¹.

وكان بعض قيادات حركة انتصار الحريات الديمقراطية ينظمون لقاءات في الوسط الطلابي بتونس أمثال أحمد بودة ومحمد لمين دباغين، وحامد الروابحية، وأحمد مزغنة، محمد خيضر، الأمين بالهادي، ممّا جعل الطلبة الجزائريين في تونس أكثر ميلا لتبني الأفكار الوطنية والانخراط في صفوف حركة انتصار الحريات الديمقراطية².

وهكذا فقد لاحظنا بأن الطلبة الجزائريين أينما وجدوا وكيفما كان تكوينهم لم يكونوا لينفصلوا عن واقع شعبهم ووطنهم الواقع تحت السيطرة الاستعمارية لذلك شاركوا في العمل السياسي، ونشطوا من خلال الانخراط في الأحزاب السياسية أو كتابة المقالات في الصحف المختلفة للتعريف بالقضية الجزائرية أو تقديم عرائض وبرقيات وشكاوي للإدارة الاستعمارية وذلك ما ساهم في تقريب الرؤى الطلابية باختلاف مشاربها وتوجهاتها للعمل من أجل القضية الوطنية.

ثانياً- تونس:

لقد انخرطت الفئة الطلابية التونسية، بمختلف توجهاتها في العمل السياسي مبكراً، ونستطيع أن نرصد عدة أنشطة سياسية قام بها الطلبة التونسيون سواء داخل تونس أو خارجها:

أ- داخل تونس: لقد كان من مظاهر الوعي السياسي المبكر لدى الطلبة التونسيين تكوينهم لحركة الشباب التونسي سنة 1907م، حيث نستشف ذلك من خلال مقال نشرته جريدة "التونسي" التابعة للحركة بتاريخ 28 مارس 1907م، جاء فيه: >>... يتصور بعض الناس أن الشبان التونسيين هم من أحفاد الأتراك ويتصور آخرون أنهم ضباط بدون جنود أو مجرد غاضبين.. والواقع أن الشبان التونسيين هم الشبان الذين تلقوا تعليماً فرنسياً إما في ثانوية

¹ - علي كافي، المصدر السابق، ص 25.

² - ناجي إسماعيل، مولود قاسم نايت بلقاسم نضاله السياسي ونظرته للهوية الجزائرية (1927-1992)، (مذكرة ماجستير)، مخطوطة، جامعة منتوري- قسنطينة، 2006-2007، ص ص 42-43.

كارنو أو في المعهد الصادقي أو في المعهد العلوي، وهم ليسوا عشر كما يحلو للبعض أن يقول، وإنما يكونون مجموعة تضم ما بين ألف وألف وخمسمائة شخص، ويزداد عددها كل يوم بانضمام المتخرجين الجدد من المدارس إليها...¹.

كما أن نشاط الطلبة الزيتونيين المطلبى في غالب الأحيان حدود الجامع الأعظم ليكتسح الساحة السياسية العامة، ففي أوائل سنة 1921م، نظم الطلبة الزيتونيون حفلا كبيرا بجامع الزيتونة على شرف المدرسين الصادق النيفر وعثمان بن الخوجة بمناسبة رجوعهما إلى التدريس بالجامع الأعظم بعد توقيفهما عن العمل من أجل أفكارهما الوطنية وانتماؤهما إلى الحزب الدستوري، وقد أقيمت خلاله عدّة قصائد وخطابات ركّزت على ضرورة عدم بقاء الجامع بعيدا عن السياسة والأحوال العامة حيث نجد الطالب الطاهر الحداد قد ألقى خطابا بليغا ختمه بقوله: >>..إحيا العلماء العاملين، وليسقط من يتلبسون بلباس العلماء ليخدعوا الجمهور، بينما هم من الجهلة، ويحيا الرجال العاملين لفائدة بلادهم، يحيا الوطن والوطنيون...<<².

وفي سنة 1928م شهد جامع الزيتونة سلسلة من الإضرابات الطلابية حول اضطهاد اللغة العربية والمطالبة بإصلاح التعليم الزيتوني، وفي خضم هذه الاحتجاجات كانت الشبيبة الشيوعية تدعمها وتعلق المناشير الداعية للثورة والإضراب وقد جاء في أحدها >>..لنقاوم الاستعمار الذي يريد محو خصائص الشعب التونسي بالاعتداء على لغته وتقاليدته وتعليمه القومي...<<³.

كما أعلن الطلبة الزيتونيون في 15 ديسمبر 1929م، إضرابا عن الدراسة، وقد بيّنت تقارير الشرطة، أن زعماء هذه الحركة في معظمهم من قدماء الطلبة الزيتونيين والدستوريين، فقد أشارت تلك التقارير مرارا وتكرارا إلى الطاهر الحداد وأحمد الدّرعى والبشير الرياحي ... كما اعتبرت الطالبين عبد القادر النّجار وقاسم المحجوب ممثلين للحزب

¹ - مجموعة من الأساتذة، المرجع السابق، ص68.

² - مختار العياشي، المرجع السابق، ص213.

³ - نفسه، ص216.

الدستوري لدى الطلبة وكانت اللقاءات بين الحزب والطلبة تقع بالخصوص في المقاهي العربية والدكاكين¹.

كما أن جمعية قدماء الصّادقية قد تكثف نشاطها بتونس بعد انتخاب محمد علي العنابي رئيسا لها (1934-1936م) وأصبح النسيج الجمعياتي أكثر تنوعا ونفاذا مع انتعاش الحركة الوطنية إثر وصول حكومة الجبهة الشعبية إلى السلطة سنة 1936م².

وقد ساهم الطلبة الزيتونيون في المظاهرات اللتين نُظمتا في 02 جانفي و28 مارس 1935م، أمام الإقامة العامّة للاحتجاج على إجراءات القمع والمطالبة بإطلاق سراح الموقوفين، وصادفت هذه التحركات الأمر الحكومي المؤرخ في 7/2/1936م، الذي يشترط اللغة الفرنسية في الوظيفة العمومية مع التصعيد الذي كان يتبعه الحزب الدستوري الجديد من أجل الضغط على السلطة الاستعمارية لإطلاق سراح قياداته ومناضليه، حيث واجه الطلبة قوات الأمن "برحبة الغنم" في 22 فيفري ممّا أسفر على اعتقال 33 منهم، وجرح عدد آخر أبعد البعض منهم على مدنهم الأصلية³.

وبعد صدور قانون 12 أوت 1936م، الذي يقضي بحرية الاجتماع وتكوين الجمعيات اغتتم الزعماء الوطنيون أمثال الطاهر صفر، هذا الظرف مشجعين على تكوين الجمعيات في مختلف المجالات الثقافية والسياسية وغيرها، وفي نفس السياق وجّه صالح بن يوسف منشورا بتاريخ 17 سبتمبر 1936م، إلى رؤساء الشعب الدستورية ويحثهم على احتضانهم العمل الجمعياتي تدريجيا حتى يصبح الحزب الحر الدستوري حزب الأمة، ومصدر رغباتها وإرادتها⁴.

خلال التطورات التي شهدتها تونس سنة 1938م تبلورت طريقة جديدة في النضال الوطني تهدف إلى خلق قوة مؤطرة ومعارضة لسياسة سلطة الحماية تعمل في نطاق السرية

¹ - مختار العياشي، المرجع السابق، ص220.

² - مجموعة من الأساتذة، المرجع السابق، ص106-107.

³ - حفيظ طبابي، المرجع السابق، ص441.

⁴ - مجموعة من الأساتذة، المرجع السابق، ص111.

وتمّ إقحام الحركة الطلابية بمختلف أطيافها وكان للمحاضرة التي ألقاها "علي البهلوان"¹ بنادي الحزب الجديد يوم 10 مارس 1938م، تحت عنوان "دور الشباب في المعركة" صدى كبيراً حيث اجتمع حوالي 700 تلميذ وطالب من كافة معاهد العاصمة².

وقد ساهم الطلبة الزيتونيون مساهمة فعالة في حوادث 1939م، حيث قُتل طالبان زيتونيان وأحيل العديد منهم على المحاكمات، فحكمت المحكمة العسكرية على 20 منهم بالسجن وطرده 20 آخرين على الأقل من جامع الزيتونة³.

كما وجدت بعض الأسلحة النارية عند بعض الطلبة الزيتونيين قبيل الحرب العالمية الثانية، ممّا عرّضهم للعقوبات⁴.

ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية التي عطلت من عمل الحركة الطلابية، لكن هذا لا يعني انعدام النشاطات الوطنية للطلبة فقد واصلوا تعليق المنشورات وتنظيم الإضرابات، والشيء الجديد معاً على الصعيد الطلابي هو التنسيق بين طلبة جامع الزيتونة وطلبة المدرسة الصادقية حيث كونوا معاً لجنة مشتركة انضم إليها في أواخر 1944م، جمعية قدماء الصادقية وجمعية الشبان المسلمين وكانت تدور في فلك الحزب الدستوري الجديد والحركة المنصفية⁵.

ومنذ عزل المنصف باي⁶ وإبعاده إلى الأغواط (14 ماي 1943) جعل الطلبة الزيتونيون من مسألة رجوعه مسألة مركزية، وكانت زيارة الأميرين السعوديين لجامع

¹ - علي البهلوان (1909 - 1958)، درس بالصادقية والتحق في 1932م، بباريس لينهي دراسته في 1935م، وبيّش التدرّس في الصادقية، وكان له دور في أحداث أبريل 1938م، واعتقل على إثرها، عُيّن رئيساً لبلدية تونس سنة 1957م، ينظر أروى النيفر، المرجع السابق، ص 77.

² - مجموعة من الأساتذة، المرجع السابق، ص 111.

³ - حفيظ طبّابي، المرجع السابق، ص 442.

⁴ - مختار العياشي، المرجع السابق، ص 258.

⁵ - نفسه، ص ص 255-256.

⁶ - المنصف باي: ولد في 4 مارس 1881، وهو آخر أمير حسيني مولود قبل فرض الحماية على تونس، درس بالصادقية صار المستشار الخاص لوالده الباي محمد الناصر منذ سنة 1906م، تولى الحكم سنة 1942م، عُرف بمواقفته الوطنية وعُزل عن العرش سنة 1943م، ونفي إلى الأغواط ثم إلى فرنسا، ينظر: الصادق الزمرلي، تونس في عهد المنصف باي (1942-1943)، بين الرجاء والخيبة، تق وتر: حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1989م، ص ص 7-8.

الزيتونة يوم 12/12/1943م مناسبة رفع فيها الطلبة الزيتونيين شعارات تنادي بحياة المنصف باي، والوحدة العربية¹.

كما نشطت "جمعية الشبان المسلمين" كثيرا واتسمت خطبها واجتماعاتها بطابع سياسي، حيث تطرق الشيخ محمد الصالح النيفر في 17/7/1946م، إلى قضية الاستقلال ووجهت الجمعية برقية استياء إلى وزير الخارجية الفرنسي "جورج بيدو" وعلى إثر اعتقال الوطنيين بمؤتمر ليلة القدر².

وبمناسبة وفاة الرئيس الأمريكي "فرنكلان روزفلت" نظم في تونس استعراضا كبيرا يوم 15 أفريل 1945م، وقد شاركت فيه الأحزاب والمنظمات، وكان يتقدمه 400 طالبا من الزيتونة يحملون علما تونسيا ضخما ولافتات كبيرة، يتبعهم أعضاء جمعية الشبان المسلمين وعددهم حوالي 200³.

وقد قامت اللجنة المختلطة الزيتونة الصادقية بإصدار عدة صحف ثورية مثل "الهلال" و"الكفاح" و"الاتحاد" و"الهلال الأسود" وبعد المظاهرة الكبيرة التي شارك فيها الطلبة في 08 ماي 1945م بمناسبة انتصار الحلفاء، أصدرت جريدة الهلال بعنوان "الكفاح التونسي في مرحلته الأخيرة" وفي عدد آخر نشرت مقالا بعنوان "فرنسا الفاشية... الدم يسيل في الجزائر" منددة بمجازر 08 ماي في الجزائر⁴.

وقد ازداد عدد المنخرطين من الدستوريين الجدد في صلب "جمعية الشبان المسلمين" وعلى إثر انعقاد مؤتمرها الثالث (23-25 سبتمبر 1947) ضمت هذه الأخيرة 11 دستوريا من مجموع 16 عضوا⁵.

ب- نشاط الطلبة التونسيين بفرنسا:

لقد كان للطلبة التونسيين دورا سياسيا بارزا في التعريف بقضيتهم والدفاع عنها، ومن ذلك نجد الطالب التونسي "أحمد السقا" الذي سبق الحديث عنه بأنه أحد أعضاء المنظمة

¹ - حفيظ طبابي، المرجع السابق، ص 443.

² - مجموعة من الأساتذة، المرجع السابق، ص 119.

³ - مختار العياشي، المرجع السابق، ص 258.

⁴ - نفسه، ص 259.

⁵ - مجموعة من الأساتذة، المرجع السابق، ص 121.

الطلابية التونسية في فرنسا "اتحاد طلبة تونس"، قد كان أول مبعوث للحزب الدستوري إلى فرنسا في أبريل سنة 1919م، ونظرا إلى أنه تابع حتى 1917 دراسة بباريس، فقد كان يعرفها جيدا، ويفضل ثقافته الفرنسية وخبرته يستطيع الاتصال بالصحف وحركات اليسار بفرنسا وعرض المطالب التونسية عليها، والتحق به عبد العزيز الثعالبي في جويلية 1919، حيث عرفه هناك بممثلي الحزب الاشتراكي الفرنسي والكثير من الشخصيات¹. كما أنه يقوم بدور المترجم للثعالبي، وقد عملا على التعريف بالقضية التونسية لدى عدة منظمات وتجمعات سياسية وعبر الصحافة أيضا مما أكسب قضيتهم تعاطفا كبيرا لاسيما في أوساط اليسار الفرنسي، وتوجت مهمة الثعالبي والسقا بإصدار كتاب "تونس الشهيدة" الذي صدر في 1920².

وتزامنا مع السياسة القمعية التي سلكها المقيم العام "بيروطن"³، تكثف العمل الدعائي الطلابي بفرنسا، وأصبح رافدا مهما من روافد الحركة الوطنية، ومما عزز ذلك تطور عدد الطلبة التونسيين بفرنسا الذي بلغ مت يزيد عن 322 طالبا آنذاك نشط جُلهم في هياكل الحزب الدستوري الجديد وتعاطفوا مع الزعماء المبعدين إلى الجنوب التونسي، وقد تجلّى ذلك من خلال تكوينهم لجنة الدفاع عن الحريات بتونس، في سبتمبر 1934م، التي تولى رئاستها سليمان بن سليمان وكتابتهما العامة الهادي نويرة، وقد ضمت 05 أعضاء هم محمود السعدي وعلي البهلوان، وصلاح الدين بوشوشة، وعبد الوهاب بكير، ومحمد سومر، وقد اتخذت من مقر طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا محلا، لعقد اجتماعاتها وكانت كثيرة الاتصال بالأحزاب والمنظمات السياسية الفرنسية مثل الحزب الشيوعي والحزب الاشتراكي ورابطة حقوق الإنسان، وبعض الشخصيات في البرلمان الفرنسي⁴.

¹ - علي المحجوبي، المرجع السابق، ص223.

² - نفسه، ص224.

³ - مارسال بيروطن المقيم العام بتونس بين (1933-1936) تميز عهده بقمع الحركة الوطنية، ومن أهم القضايا المطروحة في عهده مسألة دفن المتجنسين في المقابر الإسلامية، وبعد أن تازمت الأوضاع تمّ استبداله بأرمان قيون، ينظر أروى النيفر، المرجع السابق، ص34.

⁴ - مجموعة من الأساتذة، المرجع السابق، ص105.

ومن أهم نشاطات هذه الجمعية، تنظيمها تجمعا يوم 18/09/1934م عرّف خلاله سليمان بن سليمان بالمسألة التونسية وندّد بالسياسة القمعية لبيروطن، وحضر هذا التجمع ممثلون عن عدّة منظمات وهيئات سياسية، وأسفر ذلك عن صياغة لائحة ضمّت إمضاء 32 جمعية وحزبا سياسيا طالبوا فيها بعزل "بيروطن" وإطلاق سراح المعتقلين، كما نظموا بالتعاون مع الشيوعيين مسيرة أمام وزارة الشؤون الخارجية وسلّموا لائحة احتجاج إلى الوزير¹.

ورغم تعرض أعضاء هذه اللجنة للاعتقال والمضايقات الفرنسية، لكن ذلك لم يمنعهم من تكثيف دعايتهم على امتداد السنة الجامعية 1934-1935م، عن طريق الصُحف مثل "la flèche de Paris l'humanité" لإعلام الرأي العام الفرنسي بحقيقة الأوضاع في تونس، وقد مكّتهم ذلك من ربط علاقات وطيدة مع عدة شخصيات مساندة لحركات التحرر مثل المحامي الاشتراكي J.R.Longuete مدير مجلة "Maghreb"، وقد مكن هذا الأخير كل من بحري قيقّة، والحبیب ثامر² لرئيس جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين في نفس الموسم، من نشر مقالیهما بمجلته المذكورة سابقا، كما متتوا علاقاتهم بالنائب الراديكالي "Gaston Bengery" مؤسس جريدة "La flèche de paris" سنة 1934م الذي نشر للطالب الهادي نويرة مقالین حول القضية التونسية في نوفمبر وديسمبر 1936م³.

كما تمكّن الطلبة التونسيون بباريس من نسج علاقات وطنية مع الزعيم شکیب أرسلان وذلك لما عُرِف عنه من اهتمام بقضايا المغرب العربي وقد كان لتوجهه الفكري تأثيرا كبيرا عليهم، ونشروا العديد من مقالاتهم في مجلته "الأمة العربية"، إذ كتب الشاذلي

¹ - مجموعة من الأساتذة، المرجع السابق، ص 105-106.

² - الحبیب ثامر (1909-1949)، درس بالصّادقية ومعهد كارنو، ثم بفرنسا حيث انضم إلى جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين، وعاد إلى تونس بعد أحداث 1938م، وساهم في العمل الوطني ممّا كلفه الحكم عليه بـ20 سنة أشغالا شاقة، لكن الألمان أطلقوا سراحه سنة 1942م، وهاجر إلى أوروبا بعد صدور حكم الإعدام ضده سنة 1943م، ومنها إلى الشرق، وفي 1949م وأثناء قيامه بجولة للتعريف بالقضية الوطنية في باكستان، توفي إثر اصطدام الطائرة التي كان فيها بجبل وأعيد رفاته إلى تونس سنة 1968م، ينظر أروى النيفر، المرجع السابق، ص 77.

³ - مجموعة من الأساتذة، المرجع السابق، ص 106.

الخلافي وصالح بن يوسف والحبيب ثامر، وعبد الوهاب بكير، والطاهر لخضر عدة مقالات بخصوص القضية التونسية¹.

وما يمكن قوله أن الطلبة التونسيون قد انخرطوا في العمل الوطني مبكرا، بحيث تجلّى ذلك في تأسيس الأحزاب السياسية وإصدار الصحف، وخير مثال على ذلك " حركة الشبان التونسيين"، ولسان حالها جريدة " التونسي " سنة 1907م، وقد مارس الطلبة سواء صادقين أو زيتونيين الحياة المطالبة والسياسية بقوة، وذلك من خلال حضور المؤتمرات وكتابة المقالات والعرائض والقيام بالمظاهرات والإضرابات... كما كان لانقسام الحزب الدستوري الحر إلى قديم وجديد سنة 1934 أثره في الوسط الطلابي، بحيث عُرف على الطلبة المنتمين للدستوري الجديد والنشاط والعمل السياسي، في حين كان أنصار الحزب القديم يتميزون بالانزواء في غالب الأحيان.

- الدور السياسي لجمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا:

عمل نجم شمال إفريقيا منذ ميلاده بباريس سنة 1926م، على استقطاب الطلبة إلى جانب الفئة العمالية المهاجرة، لذلك فقد ركزت تقارير الشرطة الفرنسية حضور عدد كبير من طلبة جمعية مسلمي شمال إفريقيا في اجتماعات النجم وخاصة في الجمعية العامة التي عُقدت بتاريخ 18 نوفمبر 1928م، بعد أن أقام النجم للطلبة حفل تكريمي في صائفة 1926م، بحضور مصالي الحاج والشاذلي خير الله والحبيب بورقيبة².

وقد دعا الشاذلي خير الله الطلبة في الاحتفال التكريمي إلى الانضمام إلى صفوف النجم، وقد اعتبرت الشرطة الفرنسية بأن "طلبة شمال إفريقيا المسلمين" هي جزء من نشاط النجم أو الحزب الشيوعي الفرنسي باعتبار أن اثنان من أعضائها ينتميان إلى الحزب الشيوعي وهما: أحمد بن ميلاد التونسي، وأحمد كسوس الجزائري³.

¹ - مجموعة من الأساتذة، المرجع السابق، ص106.

² - أحمد مريوش، المرجع السابق، ص167.

³ - نفسه، ص168.

وعندما حضر الجنرال Brrémond أشغال المؤتمر الثالث للجمعية بباريس 1939م، عبّر عن فزعه من تأجج مشاعر الطلبة المسلمين الشمال إفريقيين، ولاحظ حضورا قويا للأفكار السياسية في ثنايا النقاش الذي يُفترض أن لا نجد له مكانا بها، واندھش من الحفاوة العامة التي استقبل بها التصريح بمبدأ الاستقلال التام للأمة الشمال إفريقية، تحت الراية ثلاثية الألوان الأخضر (تونس)، الأبيض (الجزائر)، والأحمر (المغرب) وقال بأن المؤتمرين لم يعترفوا لفرنسا بأي جميل عما أنجزته من أعمال¹.

وقد ساهمت الأحداث التي عرفها المغرب العربي خلال الثلاثينات في بلورة النشاط السياسي للجمعية كعقد المؤتمر الأفخارستي بتونس وصدور الظهير البربري بالمغرب الأقصى، والاحتفال بالمئوية الاحتلال بالجزائر حيث حرّروا عدة برقيات احتجاجية بهذه المناسبات.

وفي سنة 1931م، ازداد النشاط السياسي الوطني للجمعية حيث أصدر أحمد بن ميلاد كُتّيبا سمّاه "خمسون سنة من التفوق الفرنسي في تونس" تعرّض فيه للسياسة الفرنسية بتونس².

أعتبرت الجمعية خلية للحزب الدستوري الجديد بفرنسا، كما كانت همزة وصل بينه وبين النجم، ومختلف تشكيلات الحركة الوطنية في الغرب العربي، وفي ديسمبر 1937 شكل الحزب شعبة "باريسية" تابعة له ضمت العديد من أعضاء الجمعية، ولكن مع سنة 1937 بدأ نشاطها السياسي يتراجع بسبب الأزمات والانقسامات التي عرفت الحركة الوطنية بالمغرب الأقصى وتونس³.

والملاحظ أن تشكيلة الجمعية تمّ تغييرها ابتداءً من سنة 1940م، وذلك بإشراك أعداد كبيرة من الطلبة التونسيين والمغاربة، هؤلاء المغاربة أغلبهم من المنتمين إلى حزب

¹ - غي برفيلي، المرجع السابق، ص ص171-172.

² - عواريب، المرجع السابق، ص ص133-135.

³ - نفسه، ص ص137-138.

الاستقلال، وكانوا نشيطين بشكل خاص ومنهم المهدي بن بركة¹ الأمين العام لسنة 1940-1941، وقد ساهم ذلك دون شك في طبع صفوف الجمعية بالروح الوطنية².

إذا فالطلبة قد تبنوا الأفكار الأكثر راديكالية وانخرطوا ضمن أحزاب الحركة الوطنية، إذ انضم كل التونسيون إلى الحزب الدستوري الجديد، وثلاثة أرباع المغاربة كانوا ضمن حزب الاستقلال برئاسة علال الفاسي والباقي ضمن حزب الشورى والاستقلال لمحمد الحسن الوزاني³،

أمّا الجزائريون فقد انضموا لمختلف الأحزاب وبنسب متفاوتة وقد كان الطلبة يتحدثون عن المغرب العربي كوطن واحد ويتمنون استقلاله⁴.

وقد ركّز مؤتمر الجمعية سنة 1947 بباريس على الوحدة المغربية، أمّا مؤتمر 1950 بتونس فقد كان مؤتمر ساسة يناقشون قضايا مختلفة، فالملاحظ على التشكيلة المشاركة فيها أنها تمثل إطارات مختلف الأحزاب الوطنية، كما أن الجمعية لأول مرة في تاريخ عقد المؤتمرات تخصص الجانب السياسي لجنة خاصة ناقشت مختلف القضايا المرتبطة بهذا الجانب⁵.

وما يمكن قوله أن جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين قد قامت على أساس سياسي وذلك نظرا لأنها نشأت في كنف "نجم شمال إفريقيا"، وكان بُعدها واضحا وهدفها هو استقلال المغرب العربي ووحدته.

¹ - المهدي بن بركة: وُلد بالرباط سنة 1920م، وتلقى فيها علومه حديثا، وتابع تحصيله العلمي العالي في الرياضيات بالدار البيضاء والجزائر، التحق مبكرا بالعمل الوطني، شارك في وفد حزب الاستقلال في محادثات الكيس ليان، وكان من أنشط قادة الحزب، ثم تزعم حركة جياره الذي شكل الاتحاد الوطني للقوات الشعبية المعارضة، ونظرا لعدة مضايقات اختار المنفى سنة 1960م، ثم عاد إلى المغرب سنة 1962م، ليغادره في السنة الموالية، وأثناء حرب الرمال بين الجزائر والمغرب وقف مع الجانب الجزائري، أُختطف واغتيل في باريس 1965/10/29م، ينظر: بلقریز وآخرون، المرجع السابق، ص271.

² - غي برفيلي، المرجع السابق، صص 194-195.

³ - محمد الحسن الوزاني، ولد في فاس سنة 1910، ودرس في ثانويتها العصرية "مولاي إدريس" حضر البكالوريا في باريس، درس في المدرسة الحرة للعلوم السياسية، وفي معهد دو فرانس وفي الصحافة وفي مدرسة اللغات الشرقية، وفي سنة 1927م شارك في تأسيس دمجية طلبة شمال إفريقيا المسلمين، كما انخرط في نجم شمال إفريقيا، وبعد انفصاله عن كتلة العمل الوطني أسس "الحركة القومية"، وفي سنة 1946م أسس حزب الشورى والاستقلال... توفي في فاس سنة 1978م. ينظر بلقریز وآخرون، المرجع السابق، ص277.

⁴ - عواريب، المرجع السابق، ص139.

⁵ - نفسه، ص140.

المبحث الثالث: موقف الإدارة الاستعمارية من النشاطات الطلابية

لقد تناولنا فيما سبق تطور الحركة الطلابية سواء في الجزائر أو في تونس خلال الربع الثاني من القرن العشرين، ولاحظنا التطور التدريجي والمستمر في أساليب الحركة الطلابية وتعاملاتها مع الإدارة الاستعمارية التي شهدت تصعيدا من طور المهادنة والطرق السلمية إلى أساليب أكثر جراءة وضوحا، وذلك عندما صار الطلبة جزءا من الحياة السياسية والعسكرية في بلدانهم، وصاروا في الصفوف الأولى ضد السلطات الاستعمارية، لذا كان من الطبيعي أن يكون رد الإدارة الاستعمارية أكثر عنفا وقساوة مع مرور الوقت.

أولاً- الجزائر:

سبق وأن تعرضنا لسياسة التجهيل التي انتهجتها فرنسا ضد الشعب الجزائري، وكيف كانت تصعب فتح المدارس الحرة التي كانت غالبا ما يؤسسها رجال الإصلاح سواء قبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين أو بعدها، وذلك من أجل الإبقاء على المجتمع الجزائري جاهلا لا يعرف حقوقه ولا يحسن المطالبة بها.

كما أنها أكثرت من القوانين الجائرة ضد التعليم العربي، وقد كان من أهمها قرار ماي 1938م، الذي يمنع التعليم العربي ويعتبر اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر وقد جاء في مقال لابن باديس حول هذه المسألة: >>..إنّ أعداءنا علموا أن لا بقاء للشعب إلا بتعلم عقائده وأخلاقه وأحكامه، فناصروا التعليم العداء، وتعرضوا لمن يتعاطاه بالمكروه والبلاء، فمضت سنوات من غلق المكاتب القرآنية ومكاتب تعليم الدين الإسلامي ولم يُبقوا منها إلا على الأقل القليل...<¹.

وفي بادئ الأمر كانت النخبة الفرانكفونية المثقفة محط آمال الإدارة الفرنسية ويُطلقون عليهم اسم الأنتلجنسيا المسلمة الفرانكفونية التي رأت فيها بديلا عن خدامها الأوفياء وهم "العمائم القديمة" حيث يقول فيهم "جول كامبو" "Jules cambon": >>...إنهم بمثابة هيئة أركان مشكلة من مثقفين جزائريين مسلمين مهمتهم لعب دور الوسيط بين السياسة الكولونيالية الفرنسية والأهالي الجزائريين...<<، كما يقول الحاكم العام الفرنسي جونا

¹- رابح فلاحي، المرجع السابق، ص 122.

Jonnart >>...إِنَّه من مصلحتنا العمل على خلق نخبة مثقفة من الأهالي قادرة على الاستجابة لأفكارنا التقدمية والعادلة... إننا بحاجة إلى برجوازية محافظة تساعدنا وتسهل لنا تنفيذ مخططاتنا...<¹.

كما أن الإدارة الفرنسية كانت تعولّ عليهم أكثر مما تعول على طلبة تونس والمغرب بحيث يقول جورج هاردي سنة 1934م: >>... يبدو لي أن طلابنا المسلمين الجزائريين هم أكثر وعيا من إخوانهم المغاربة والتونسيين..إنهم أكثر ارتباطا باللغة الفرنسية، هذا في حين لا يزال الآخرون من تونسيين ومغاربة يحلمون بنهضة تمس اللغة العربية وعلومها....<².

ومع أننا نفهم ممّا سبق من المقولات لبعض الشخصيات الفرنسية التي تقف موقف الراضي على الطلبة الجزائريين الفرانكفونيين، إلا أن الطلبة الجزائريين بجامعة الجزائر لم يسلموا من التشويه الإعلامي، بحيث يقول فرحات عباس: >>... في سنة 1926 كنت طالبا في الكلية المختلطة للطب والصيدلة بالجزائر، فانتخني الطلبة المسلمون رئيسا لجمعيتهم عندما نشرت جريدة "ليكودالجي" بتاريخ 14/9/1926م تحت عنوان " حادث مؤسف" تضع فيه الطلبة المسلمين موضع الشك ملمحة إلى أنهم كلهم شيوعيون، بغرض الانتقاص من قدرتهم في عيون السلّطات العمومية...<³.

كما لاحظنا عند حديثنا عن المنظمات الطلابية الجزائرية بأنّ الطلبة الجزائريين عندما أرادوا الانخراط في منظمات طلابية فرنسية تعرضوا لشتى أنواع الإقصاء المتعمد والتسلط الإداري الهادف إلى تثبيط الهمم، كما فعلت الجمعية العامة للطلبة الجزائريين (AGEA) حينما قامت بطرد الطلبة المسلمين الجزائريين من صفوفها، ممّا يدل على موقف الاحتقار للطلبة الجزائريين.

أمّا الطلبة الذين كانت لهم نشاطات سياسية أو عسكرية ضد فرنسا فقد كانوا عرضة لمتابعة الشرطة الفرنسية والسجن والمحاكمة، وكمثال على ذلك:

¹ - عبد الله حمادي، المرجع السابق، ص 46-47.

² - مريوش، المرجع السابق، ص 105.

³ - فرحات عباس، الشاب الجزائري، ص 60.

أحمد حماني -الذي ذكرناه سابقا- حيث كان ينتمي لجمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين ونظرا لنشاطاته المعادية لفرنسا خلال الحرب العالمية الثانية، وذلك بمشاركته في تأسيس "الحزب القومي الجزائري" الذي كان يخطط للقيام بعمليات عسكرية ضد فرنسا وعندما تتبعت فرنسا آثار المتصلين بالألمان خلال الحرب، تمكنت من اعتقال رفاقه في الحزب واختفى هو في بنزرت حتى مارس 1945م، ثم أُلقي عليه القبض وحوكم محاكمة عسكرية ثم أطلق سراحه¹.

ونموذج ثان هو الطالب الزيتوني مولود قاسم نايت بلقاسم²، وهو أيضا من جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين، بتونس وعُرف عليه النشاط في حركة انتصار الحريات الديمقراطية لذلك كان بيته يتعرض للتفتيش أكثر من مرة من طرف الشرطة الفرنسية بحثا عنه ثم أُلقي عليه القبض لمدة شهر في مدينة أقبو، ثم حوكم وأطلق سراحه.

كما كانت التقارير الفرنسية تتبع الطلبة الجزائريين العائدين من تونس، لأنها تتوجس منهم خيفة لأن الكثير منهم نشطون في إطار حركة انتصار الحريات الديمقراطية ويسعون دوما للتعريف بالقضية الجزائرية في الخارج³.

إذا لقد سعت فرنسا إلى القضاء على الحركة الطلابية الوطنية في المهد، وذلك من خلال محاربة التعليم العربي، والحرص على تجهيل الجزائريين، وبالمقابل قامت بتكوين نخبة سمّتها "بالأنجلنسيا الفرانكفونية المسلمة" لتكون نخبة خادمة لأهداف فرنسا الاستعمارية، كما أنها وقفت بالمرصاد لأي نشاطات سياسية أو وطنية يقوم بها الطلبة، وتتبع المشتبه بهم وسلّطت عليهم شتى أنواع العقوبات.

¹- أحمد حداد، المرجع السابق، ص67.

²- مولود قاسم نايت بلقاسم: وُلد في 06 جانفي 1927م، ببلدية أقبو ببجاية، التحق بكتاب قريته وعندما بلغ 06 سنوات دخل المدرسة الفرنسية ثم واصل تعليمه بزاوية تمقري، ثم بمدرسة جمعية العلماء ببني عباس 1944، وفي سنة 1946م انتقل إلى الزيتونة وواصل دراسته هناك، وعُرف عنه النشاط في المجال الصحفي، أكمل دراسته بالزيتونة ثم انتقل إلى مصر ودرس بها ما بين (1950-1954)، ينظر: ناجي إسماعيل، المرجع السابق، ص 10-17.

³- ناجي إسماعيل، المرجع السابق، ص44.

ثانياً- تونس:

وفي تونس أيضاً، لم تكن الحركة الطلابية لتسلم من الملاحقات والضغوطات من طرف الإدارة الاستعمارية، حيث نستنتج ذلك من خلال بعض الأمثلة المتوفرة:

بحيث يذكر عبد العزيز الثعالبي أنه بعد الإضراب الذي قام به طلبة الزيتونة سنة 1910 واستمر الإضراب لمدة شهر، حيث قمعت هذه الحركة، وتمّ سجن 15 طالبا، وطُرد الكثير من دراستهم وحُرموا من التقدم للمسابقات الوظيفية¹.

أما الأسباب التي تذرعت بها السلطة الاستعمارية لتسليط تلك العقوبات، فقد كانت تتمثل فيما يلي:

- بث بذور الشقاق في الجامع الأعظم بالمطالبة بإصلاح برامج التعليم.

- التظاهر عند مرور ركب المقيم العام وتهديده بالقتل.

- تكوين وفود للتفاوض مع السلطة.

وتزامنا مع إضراب سنة 1928م، ورد هناك اقتراح لدى السلطات بتنصيب بعض الأعوان السريين الموثوق بهم في جامع الزيتونة، وبعض الأعوان المرتدين للزّي الرسمي قرب الجامع وتركيز أعوان الأمن مشتبّهين بالمتسولين أمام الأبواب الرئيسية لمختلف المساجد وسكن الطلبة لاكتشاف كبار "المشوشين" وإحباط مساعيهم².

كما كانت إدارة الجامع المتعاونة مع الحكومة تهدّد الطلبة المضربين وتلوح بعدة عقوبات مثل عدم تأجيل الخدمة العسكرية، وحذف دورة الامتحان، وكانت تستدعي أولياء أمورهم وتهدهم بفصل أبنائهم عن الدراسة.

وعلى إثر المظاهرات التي جاءت ردّا على المؤتمر الأفخارستي سنة 1930 أُلقي القبض على 11 طالبا، كما اقترح المقيم العام على وزارة الشؤون الخارجية بباريس التخفيض من عدد الطلبة الزيتونيين بالعاصمة، بواسطة تحديد قبول المترشّحين سواءا بجامع الزيتونة ذاته أو بمدارس سكن الطلبة الموجودة بالعاصمة، وذلك من أجل إقصاء عدد كبير من الطلبة.

¹ - عبد العزيز الثعالبي، المصدر السابق، ص 60. ينظر: الملحق رقم (06).

² - مختار العياشي، المرجع السابق، ص ص 210-216.

وفي 30 مارس 1933 أصدرت السلطات إجراءات انتقامية ضد الطلبة حيث نص الفصل 230 من هذا الأمر على أنه >> لا يجوز لتلامذة الجامع الأعظم توجيه أي مكتوب إل الحكومة يتعلق بذلك المعهد دون الحصول على موافقة مشيخة الجامع، كما يمنع عليهم الاشتراك من قريب أو من بعيد في وسائل الإعلام...<<¹.

ومن الوسائل المنتهجة ضد الطلبة هي محاولة بث بذور الشقاق في صفوف الحركة الزيتونية لإثارة النزاع بين " الأفاقين " أي الطلبة الذين يسكنون خارج العاصمة، والطلبة العاصميين، وأسست لذلك جمعيات تورط فيها حتى بعض المدرّسين الزيتونيين². وفي إطار النشاط السياسي للطلبة، ومشاركتهم في مسيرة أمام وزارة الشؤون الخارجية بفرنسا تمّ إيقاف 06 طلبة في 14 أكتوبر 1934م، كان من بينهم الهادي نويرة الذي وجه رسالة احتجاج إلى البرلمان الفرنسي على إبعاد الوطنيين، كما ألغت الإدارة الفرنسية القروض التي يتمتع بها بعض الطلبة³.

وعلى إثر إضرابات فيفري 1936م، صدرت عدة أحكام ضد 38 طالبا، فابعد أربعة منهم إلى مناطقهم الأصلية، وحظرت عليهم الانتقال إلى مناطق أخرى، داخل تونس، لأنهم يُحرّضون على الإضراب، واتخذت نفس الإجراءات ضد 07 طلبة شاركوا في تحرير وتعليق إعلانات تدعو إلى الإضراب، وأتخذ قرار منع الإقامة في المناطق المدنية ضد 14 طالبا وقررت طرد أي طالب متهم بالتشويش في جامع الزيتونة⁴.

وخلال سنتي 1936-1937 تمّ إيقاف حوالي 88 طالبا تونسيا و 20 طالبا جزائريا بتهمة النشاط في صفوف الحزب الدستوري الجديد، وتكوين لجان طلابية وجمعيات غير معترف بها مثل "جمعية الشبيبة الزيتونية"⁵.

اقترحت اللجنة المشكلة من أجل الإصلاح سنة 1938م، أن تقيم السلطات نظاما للمراقبة في مدارس سكن الطلبة، بحيث تنفذ العقوبات المسلطة على الطلبة في الحال

¹ - مختار العياشي، المرجع السابق، ص ص 218-226.

² - Habib Belaid , op-cit , p15.

³ - مجموعة من الأساتذة، المرجع السابق، ص 106.

⁴ - مختار العياشي، المرجع السابق، ص 233.

⁵ - مجموعة من الأساتذة، المرجع السابق، ص 110.

واقترحت منع الاجتماعات مهما كان نوعها، وحظر دخول أي أجنبي عن المدرسة، والإشارة إلى كل طالب يتغيب عن غرفته في الليل.

كما اقترح صالح المالقي¹ مدير الجامع في نفس السنة في تقرير قدّمه للجنة الإصلاح أن سبب الاضطرابات يرجع إلى عدم تطبيق الفصل 174 من النظام الأساسي الذي يمنع الطلبة من إعطاء بعض الأخبار للصحف والكتابة فيها، والفصل 175 المتعلق بالتحريض على الإضراب عن الدروس، وفي 23 مارس 1939م، تمّ تعطيل جريدة الهلال وأحيل محرروها العشرة - كلهم طلبة- على مجلس التأديب بالجامع، الذي قرر طردهم ثم أبعادوا إلى الجنوب التونسي تحت الإقامة الجبرية².

وفي الفترة ما بين أبريل 1938م إلى أبريل 1940م، تمّ اعتقال 49 طالبا تونسيا بتهمة الانخراط في الحزب الدستوري الجديد، وإثارة الشغب، وحُكم لبعضهم بالسجن وبعضهم بالإبعاد إلى الجنوب التونسي³.

وبعد اندلاع الحرب العالمية الثانية، تمّ خلال شهر جانفي وفيفري 1940 طرد 14 طالبا من جامع الزيتونة، ووضعوا تحت الإقامة الجبرية بتهمة إثارة القلاقل بالجامع وتوزيع المناشير الوطنية⁴.

وبخصوص جامع الزيتونة بلغ مجموع الطلبة المطرودين والمتعرضين لتتبعات عدلية ما بين سنتي 1910-1945 حوالي 269، بغض النظر عن الذين لم يُذكروا في التقارير، وقد كان المحامون الوطنيون هم من يتولون الدفاع عن هؤلاء الطلبة مجانا، كما أن هناك بعض الطلبة كانوا من ضحايا القمع طوال عدّة سنوات متتالية أمثال الطلبة الموالين للحزب الدستوري الجديد، محمد حليلو (القيروان)، ومحمد بسباس ومحمد بن نية (المنستير)

¹- صالح المالقي (1874-1947) وُلد بتونس ودرس بجامع الزيتونة سنة 1893م، وعيّن عدلا في نفس السنة، وفي 1909 أنتخب مدرسا بجامع الزيتونة وخلال الحرب العالمية الأولى شغل خطة نائب متفقد التعليم الزيتوني، وبعد الحرب تولى القضاء المالكي، كما عين شيخا للإسلام المالكي، ينظر أروى النيفر، المرجع السابق، ص34.

²- مختار العياشي، المرجع السابق، صص 245-247.

³- مجموعة من الأساتذة، المرجع السابق، ص114.

⁴- مختار العياشي، المرجع السابق، ص249.

والأسمر بوراس (قصر هلال)... الخ، بحيث تمّ طردهم من الجامع 03 مرات على الأقل خلال الثلاثينات¹.

وهكذا إذا لم تكن فرنسا لتقف مكتوفة الأيدي أمام تطور الحركة الطلابية التي كانت تتجه اتجاهها وطنيا، وقد كان الطلبة الزيتونيون هم الأكثر عرضة للاعتداءات الفرنسية، لأنها تتخوف من رواج الأفكار السياسية فيما بينهم، وكذلك كثرة قيامهم بالإضرابات والاحتجاجات لذلك أينا كثرة المتعرضين للعقوبات المختلفة (سجن، نفي، طرد من الدراسة...).

¹ - مختار العياشي، المرجع السابق، ص272.

المقارنة:

وبعد إنهاء الفصل الثاني الذي تطرقنا فيه إلى مواقف الحركة الطلابية في كل من الجزائر وتونس من الوضع الثقافي والاجتماعي لبلدانهم، واخترنا ثلاث قضايا مهمة أثارت جدلا آنذاك وهي قضية التعليم، التجنيس، المرأة، ثم تطرقنا للدور السياسي للطلبة ثم لموقف الإدارة الاستعمارية من النشاطات الطلابية المختلفة وخلال تناولنا لهذه العناصر لاحظنا أن هناك نقاط تتشابه فيها الحركة الطلابية الجزائرية والتونسية وتختلف في أخرى.

أ- أوجه التشابه:

لقد كان للطلبة دور بارز في الحياة الاجتماعية والثقافية التي عاشتها بلدانهم باعتبارهم شريحة من أهم شرائح المجتمع، لذلك كانت لهم مواقف مختلفة من القضايا السالفة الذكر.

فالتعليم كان محل إجماع لدى كل أطراف الحركة الطلابية الجزائرية والتونسية، والكل طالب بإصلاحه لأنه أساس كل نهضة، مع اختلاف نظرة كل طرف لنوعية هذا الإصلاح، فمن ناحية يرى الطلبة من ذوي الثقافة العربية ضرورة المحافظة على التعليم العربي والكف عن محاربته وطالبوا بتطويره وإدخال الأساليب العصرية عليه دون أن يفقد روحه، وجوهره، لكن بعض الطلبة الفرانكفونيين خاصة في تونس نجدهم يُطالبون بتعليم اللغة الفرنسية وأن يتلقى أبناء الأهالي نفس التعليم الذي يتلقاه أبناء المعمرين، وقد نظر بعضهم إلى الكتاتيب نظرة انتقاص، وطالب بإدخال اللغة الفرنسية إلى الكتاتيب أو إلغاء هذه الأخيرة تماما، في حين وجدنا من بين هؤلاء الطلبة من قام بمبادرة جيدة في هذا المجال وخير مثال على ذلك مصطفى خير الله في تونس إذ بالرغم من أنه من طلبة الصادقية وكان مدرّس اللغة الفرنسية بها فيما بعد، إلا أنه لم يُطالب بإلغاء الكتاتيب بل قام هو بتأسيس "المدارس القرآنية العصرية" والتي سجّلت نجاحا ملحوظا.

ب- أوجه الاختلاف:

في المجال الثقافي والاجتماعي، وبدءا بقضية التجنيس، لاحظنا في الجزائر وجود ثلاث مواقف طلابية متباينة من هذه القضية، فالفريق الأول من الطلبة وهم من قبلوا التجنيس دون شروط إلى درجة تخلي بعضهم عن دينه الإسلامي واعتناقه المسيحية، وتكلم لغة فرنسا

وتتقف بثقافتها وأمثال أولئك : بلقاسم ايبعريزن، حنفي لحمك، عمار نارون.. الخ، وفريق ثان طالب بالإدماج أو التجنيس الجماعي مع الحفاظ على الأحوال الشخصية كوسيلة للحصول على المساواة وفريق ثالث رفض التجنيس جملة وتفصيلا، وهم الطلبة من ذوي التكوين العربي الإسلامي، وهذا فيما يخص الجزائر، أمّا في تونس -وحسب ما توفرت لنا من معلومات- فإننا لا نجد هذه الاختلافات، فقد وقف كل الطلبة التونسيون ضدّ التجنيس وخرجوا في مظاهرات ضد المؤتمر الأفخارستي، بحيث لم يتخلّ الطلبة الذين درسوا في فرنسا عن هويتهم الإسلامية والعربية وجنسياتهم التونسية، والشيء الذي فسّرنا به هذا الأمر هو أنّ العدد القليل من الطلبة الجزائريين الذين ارتدوا عن دينهم وتجنّسوا كانوا من بلاد القبائل المستهدفة أصلا بمشاريع التنصير حيث نشطت هناك الإرساليات التبشيرية في مجال التعليم، ولا يُستبعد أن يكون هؤلاء الطلبة قد تتلمذوا منذ الصغر على يد رهبان مسيحيين لذلك فلا يكون أمر تجنسهم غريبا.

أمّا بخصوص موضوع المرأة فقد لاحظنا لدى الطلبة التونسيين تفاعلا مع هذا الموضوع في حين لا نجد -حسب إطلاعنا- من تحدث عن المرأة في الجزائر آنذاك سوى طلبة جمعية العلماء المسلمين، ومن حمل فكرها من طلبتها حيث سعوا إلى تحسين وضع المرأة في الجزائر وتعليمها، أمّا في تونس فنجد الزيتونيين والصّادقيين قد اتفقوا على ضرورة أن تتال المرأة حظّها من التعليم والحقوق المشروعة في الإسلام، وكانوا لا يخفون تخوّفهم من سلبية التعليم الفرنسي على المرأة التونسية، لذلك طالبوا بأن تتلقى المرأة تعليما عربيا، وحتى وإن دخلت المدارس الفرنسية فحبّذوا أن تتعلم على يد معلمات سوريات مثلا بدل الفرنسيات، لكن ظهرت هناك أصوات مخالفة لما سبق فأحد خريجي الزيتونة وهو الطاهر الحداد الذي لم يكن يرضيه واقع المرأة التونسية آنذاك فطالب بتحرير المرأة ومساواتها بالرجل في الميراث وطالب بإلغاء نظام تعدد الزوجات ... من خلال كتابه "امراتنا في الشريعة والمجتمع" كما ذهب الهادي العبيدي إلى الدّعوة العلنية لنبد الحجاب وتشجيع السّفور، وقد نتج عن هذه التناقضات ضجة كبيرة في تونس.

وفي المجال السّياسي وأثناء مقارنتنا للدور السّياسي للطلبة في الجزائر وتونس وجدنا بأن الحركة الطلابية التونسية قد خاضت غمار السياسة مبكّرا مقارنة بالجزائريين،

فإذا أخذنا سنة 1907 على سبيل المثال نجدها هي السنة التي تمكّن فيها مجموعة من الطلبة التونسيين الذين درسوا بالمدارس الفرنسية من تأسيس " حركة الشبان التونسيين " التي كانت بمثابة حركة سياسية تدعم نشاطها بإصدار جريدة " التونسي " باللغة الفرنسية في نفس السنة لتصدر بعد عامين نسختها العربية، أمّا في الجزائر فكانت السّاحة الجزائرية شبه فارغة تسودها السلطة الاستعمارية القمعية، أو بعض المحاولات المطالبية الخجولة من طرف جماعتي المحافظين أو النخبة، فجماعة المحافظين التي كانت ترفع عرائض للمطالبة بإلغاء قانون الأهالي أو إصلاح التعليم وغيرها من المطالب البسيطة، ولا تجرؤ أن تُظهر تعاطيها للسياسة، بحيث كوّنوا سنة 1908 "لجنة الدفاع عن مصالح المسلمين " من أجل رفع تلك المطالب.

ويقول أحد الكتاب الفرنسيين وهو "ألود" بأنّه في الجزائر لا يوجد سنة 1907 أكثر من 450 مثقفاً، وهو بالطبع يقصد جماعة النخبة التي يعرفها أحد عناصرها فيقول بأنهم >> ثريّات المتخرجين من الجامعات الفرنسية الذين كانوا قادرين بأعمالهم أن يصعدوا فوق الجماهير، وأن يضعوا أنفسهم في مصاف ناشري الحضارة الحقيقيين...<<¹ وما الذي تنتظره من شخص يفخر بتعاليه عن عامة الشعب ويباهي بحضارة المستعمر لكي يقدّمه لشعبه؟!

إذا هذا الفرق الشاسع سببه اختلاف الاستعمار أصلاً - كما أسلفنا الذكر - بأنّ التعامل مع حكومة يرأسها باي تونسي وأعضاؤها تونسيون يختلف كثيراً عن التعامل مع سلطة قمعية في الجزائر لا تجيد التعامل سوى بالعنف.

كما لاحظنا النشاط السياسي والمطالبي المبكر للطلبة التونسيين وخاصة الزيتونيين الذين قاموا بالمظاهرات والإضرابات والتي تعتبر شكلاً راقياً من أشكال الحياة السياسية، والملاحظ بأن طلبة تونس تمكنوا من القيام بذلك منذ 1910م، في حين هذا الشيء لم يكن وارداً في الجزائر أصلاً ولا وجود لتنظيمات طلابية جزائرية آنذاك، إذاً فما عاشته تونس منذ العقد الأول من القرن العشرين لم تعشه الجزائر إلا ابتداءً من العقد الثالث من نفس القرن.

¹ - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ص150.

الخاتمة

- وبعد نهاية بحثنا نستطيع أن نستخلص عدّة نتائج أهمّها:
- اتّسام الوضع التعليمي في الجزائر أوائل القرن العشرين بالتواضع والتخلف، وذلك بسبب السياسة الفرنسية المنتهجة، والتي كانت تهدف إلى القضاء على الكيان الجزائري.
 - شهدت الجزائر مع مطلع العقد الثالث من القرن العشرين قفزة نوعية في الميدان التعليمي وذلك بفضل جهود جمعية العلماء المسلمين التي جعلت إصلاح التعليم من أولوياتها في إصلاح الواقع المعاش بالجزائر.
 - لقد حاولت الإدارة الاستعمارية في تونس القضاء على العربية والتعليم العربي وسعت إلى إغلاق الكتاتيب، والتضييق عليها، لكن جامع الزيتونة ظلّ ملجأً للغة العربية رغم التخلف الذي عاناه التعليم الزيتوني والتدخل الاستعماري في شؤون الجامع ممّا خلق الاضطراب والفوضى داخله .
 - سعت فرنسا لنشر التعليم الفرنسي في الجزائر وتونس من أجل خلق نخبة مفرنسة، تكون واسطة بينها وبين عامّة الشعب، وبالفعل فقد كان الكثير من مشاهير الشخصيات الوطنية من خريجي المدارس الفرنسية، وخاصة في تونس، حيث لاحظنا أنّ الكثير من الزعماء السياسيين التونسيين كانوا من خريجي ثانوية كارنو والمدرسة الصادقية.
 - شهدت الهجرة الطلابية في الجزائر وتونس نشاطا كبيرا خاصّة بعد الحرب العالمية الأولى، وقد تعدّدت وُجُهاًتها إمّا إلى البلدان الأوروبية وأهمّها فرنسا، أو البلدان العربية وأهمّها تونس بالنسبة للجزائريين.
 - تضافرت العديد من الظروف والعوامل التي ساعدت الطلّبة في كلّ من الجزائر وتونس على تأسيس منظمات وجمعيات طلابية، وهي إمّا داخلية مثل: تدني المستوى التعليمي ببلدانهم، وشعورهم بالتمييز من طرف الطلبة المعمّرين ممّا جعل الحاجة ماسّة لتكوين إطار ينظّم فيه الطلبة أنفسهم، وإمّا خارجية مثل: الهجرة إلى الخارج وخاصة أوربا، إضافة إلى مشاركة الشباب الجزائري والتونسي في الحرب العالمية الأولى، وما شاهده من حرّية ومساواة وحياة مطلبية نشطة، كلّها أثّرت إيجاباً، وكانت حوافز لهيكلة الحركة الطلابية.
 - استطاعت الحركة الطلابية في الجزائر وتونس أن تنظّم نفسها في جمعيات ومنظمات مهيكلة، منها ما كانت خاصّة بطلّبة أحد البلدين مثل الجمعية الودادية للتلاميذ المسلمين

- في شمال أفريقيا في الجزائر، وجمعية الشبان المسلمين بتونس أو جمعت بين طلبة البلدين مثل جمعية طلبة شمال أفريقيا المسلمين بفرنسا.
- نشاط الطلبة المهاجرين الجزائريين والتونسيين في المهجر، حيث أسسوا منظمات طلابية في الكثير من البلدان الأوروبية أو العربية، وقد كانت فرنسا بالطبع أكثر بلد تواجدت فيه هذه المنظمات وذلك للارتباط الذي يفرضه الاستعمار.
- عرفت الحركة الطلابية التونسية والجزائرية في صفوفها عدّة تيارات وتوجّهات فكرية، تعود في الأصل إلى طبيعة النشأة والتكوين التي تلقّتها كلّ فئة، وقد حملت اختلافًا في المبادئ والوسائل والأهداف إلى حد التناقض أحيانًا، ويبرز من بين التيارات اتّجاهين واضحين في كلا البلدين هما التيار الفرانكفوني والإسلامي العروبي.
- كان للطلبة سواء في الجزائر أو تونس مواقف من القضايا الاجتماعية والثقافية ببلدانهم وقد اخترنا منها خلال البحث، ثلاث نماذج مهمّة وهي قضايا التعليم والتجنيس والمرأة مع أنّ وضوح المواقف يختلف من بلد لآخر ومن منظمة لأخرى، ففي الجزائر مثلاً لم نجد للطلبة اهتماماً واضحاً بموضوع المرأة، ما عدا طلبة التيار العروبي بينما نجده في تونس أثار جدلاً كبيراً، وتجلّت فيه مواقف طلابية واضحة.
- لم يكن الطلبة سواء في الجزائر أو تونس بمنأى عن التطوّرات السياسية الجارية في بلدانهم، ولم ينفصلوا عن واقع شعبهم الذي كان يعاني من السّيطرة الاستعمارية لذلك شاركوا في العمل السّياسي ونشطوا من خلال انخراطهم في الأحزاب السياسية وكتابة المقالات في الصّحف المختلفة للتعريف بقضايا بلدانهم أو تقديم العرائض والبرقيات والشكاوى للإدارة الاستعمارية، ولم يقتصر هذا النّشاط على تيار طلابي معيّن بل إنّ السّياسة الاستعمارية كانت سبباً في تقريب الرّؤى الطلابية للعمل من أجل القضايا الوطنية .
- انخرط الطلبة التونسيين في العمل الوطني مبكراً بحيث تجلّى ذلك في تأسيس الأحزاب السياسية، وإصدار الصّحف، وخير مثال على ذلك "حركة الشباب التونسيين" ولسان حالها جريدة "التونسي" سنة 1907، وقد مارس الطلبة سواء صادقين أو زيتونيين السياسة بقوة بحيث يلاحظ الدّارس لنشاطات الطلبة الزيتونيين مثلاً، يجد بأنّهم قد نظّموا سلسلة من الإضرابات ابتداءً من سنة 1910، وتعتبر هذه الخطوة – حسب رأينا – قفزة ووعياً

سياسيا مبكراً لدى الطلبة التونسيين بمختلف توجّهاتهم، بينما تأخّرت الحركة الطلابية الجزائرية في ذلك مقارنة بالتونسيين وذلك يعود بالطبع إلى اختلاف الظروف في البلدين - كما سبق الذكر -.

- كان من الطبيعي أن ترد الإدارة الاستعمارية على نشاطات الحركة الطلابية في الجزائر وتونس، وكان الرد الاستعماري يتصاعد مع تصاعد حدّة النشاط الطلابي، فلم ينجو الطلبة من العقوبات المختلفة من قتل وسجن أو نفي أو طرد من الدّراسة. وما يمكن قوله بعد مناقشة ما توفّر لدينا من معلومات حول موضوع الحركة الطلابية بالجزائر وتونس، أنّ لهذه الأخيرة مساهمات كبيرة في القضايا الوطنية، فقد واكب الطلبة التطورات الجارية ببلدانهم وسعوا دائماً إلى تحسين أوضاعها سواءاً وهم طلبة، أو بعد خوضهم غمار الحياة السياسية والعسكرية، ولا يمكن أبداً تقزيم دور هذه الفئة في تاريخ بلدانها.

الملاحق

تقديم الملاحق:

تمثل الملاحق المختارة تقديماً لبعض الجداول والإحصائيات المتعلقة بالموضوع، والتي من شأنها أن تعطي توضيحات أكثر بخصوصه، وهي في أغلبها جداول منها ما يوضح إحصائيات الطلبة الجزائريين بالجامعة الفرنسية، ومنها ما يبين عدد التلاميذ الجزائريين خلال فترة ما بين الحربين، وجدول آخر يوضح غياب العنصر النسوي الأهلي بجامعة الجزائر سنة 1936، كما تضمنت قائمة الملاحق صورة توضح واجهة جريد الجزائر - الطالب، وكذا جدول يوضح إحصائيات الطلبة الزيتونيين المعاقبين من أجل نشاطهم السياسي.

ملحق رقم (01): يوضح نتائج الاختبارات في الموسم الجامعي 1935-1936 بجامعة الجزائر ويتبين من خلاله الفرق الشاسع بين عدد الطلبة الفرنسيين والجزائريين في مجالي الحقوق والطب والصيدلة

NATURE DES EXAMENS	NOMBRES DE CONDIDATS		
	Présentés	Admis	
		Français	Arabes et berbères
I. Faculté de Droits			
Baccalauréal , 1 ^{er} examen	209	78	2
Régime 1922...	212	101	4
Baccalauréal , 2 ^{ème} examen	//	//	//
Régime 1905...			
Licence	173	91	02
.....			
Diplôme d'études supérieures de :			
Droit public	13	5	//
Droit privé	10	5	//
Droit romain	15	9	//
Economic Politique.....	10	5	//
Thèse	3	3	//
Capacité :			
1 ^{er} examen.....	172	122	02
2 ^{ème} examen	121	66	02
Certificat de Législation algérienne :			
1 ^{er} Examen	20	13	1
2 ^{ème} Examen	122	46	1
Certificat de Législation algérienne :	5	//	//

NATURE DES EXAMENS	NOMBRES DE CONDIDATS		
	Présen tés	Admis	
		Français	Arabes et berbères
II - Faculté Mixte de MÉDECINE ET PHARMACIE			
Médecine , nouveau régime :		48	//
Rég 06 Mars 1934	50	26	//
1 ^{er} Examen		52	1
Rég 10 septembre 1924 ...	54	42	//
2 ^e -----		44	//
3 ^e -----	68	35	//
4 ^e -----	59	33	1
5 ^e -----	48		
	57		
Examens Cliniques :		33	//
Obstétrical		44	//
Médical	37	40	//
Chirurgical	47	35	
Thèses	42	10	1
Chirurgie qentaire (examen de valid , de stage).....	36	40	//
Elèves sages – femmes , nov , régime, 1 ^{er} examen ...	32	30	1
2 ^{ème} Examen ..	59		//
Pharmacie , nouveau régime:	50	27	
Validation de stage		16	//
1 ^{er} Examen de fin d'années	58	19	1
2 ^{ème} -----	47	18	1
3 ^{ème} -----	39	13	1
1 ^{er} Examen de fin d'études	22	13	//
2 ^{ème} -----	33	5	//
3 ^{ème} -----	31	19	//
Thèse de doctorat de l'Université (mention Pharmacie)	18	1	//
.....	38	1	
Diplôme Supérieur de pharmacien	1		//
	1		

المرجع: G. le beau , Exposé de la situation générale de L'Algérie En 1936, pp 26 – 27

ملحق رقم (02)

جدول يوضح عدد التلاميذ الجزائريين خلال فترة ما بين الحربين

السنة	عدد التلاميذ	السنة	عدد التلاميذ
1920	42269	1930	66637
1921	43831	1931	71578
1922	48750	1932	78094
1923	51040	1933	85998
1924	45150	1934	87458
1925	54851	1935	93433
1926	57641	1936	102816
1927	60683	1937	106305
1928	60765	1938	111750
1929	62908	1939	114117

جدول يوضح عدد التلاميذ الأوروبيين والأهالي خلال السنة الدراسية 1936-1937

	أهالي		أوروبيون	
	بنات	ذكور	بنات	ذكور
التعليم الأوروبي	7645	18771	73573	82461
التعليم الأهلي	7300	64614	/	/

المرجع: عبد الحميد زوزو، الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربية (1919 - 1939)، المرجع السابق، ص ص 48-49.

ملحق رقم (03):

جدول يوضح غياب الغنصر النسوي الأهلي في جامعة الجزائر خلال 1936

FACULTÉS	NOMBRE D'ÉTUDIANT'S										Report du total des étudiants au 31 juillet 1935		Différence	
	Français		indigènes		Etrangers		Total par Faculté			-	+	>>	>>	>>
	Hommes	Femmes	Hommes	Femmes	Hommes	Femmes	Hommes	Femmes	Total					
Droit	891	102	25	>>	3	2	919	104	1.023		>>	1.134		
Médecine Médecine..... Et Pharmacie Pharmacie	287 110	131 44	05 4	>> >>	2 1	>> >>	294 115	131 44	425 159	29	>> >>	479 188		
Science	150	59	20	>>	2	>>	172	59	231	51	>>	282		
Lettres	173	202	40	>>	3	2	216	204	420	50	>>	470		
Totaux	1611	538	95	>>	11	4	1716	542	2.258		>>	2.553		

المراجع: G. Le ban, Exposé ; op , cit ; p25

ملحق رقم (04): صورة توضح واجهة جريدة الجزائر - الطالب



المرجع: جريدة الجزائر - الطالب، عدد 10 فيفري 1929م

ملحق رقم (05): جدول يوضح أسماء الطلبة الجزائريين الذين درسوا بفرنسا وتقلّدوا مناصب قيادية في الحركة الوطنية قبل سنة 1954

اللقب والاسم	التخصص	الجامعة	التنظيم الطلابي	التنظيم السياسي
عبد اللاوي علي	صحافة	باريس	AEMANF	PPA/MTLD
بلعيد عبد السلام	علوم	باريس	AEMANF	PPA/MTLD
آيتشعلال مسعود	طب	باريس	AEMANF	PPA/MTLD
أمير محمد بن عيسى	طب	باريس	AEMANF	PPA/MTLD
عروة أحمد	طب	مونبليه	VEAP	PPA/MTLD
بن جلون محمد	طب	غزونوبل	V.E.M.M	Jeunes Algériens
بن حبلّيس عبد المالك	قانون	باريس	AEMANF	PPA/MTLD
مالك بن نبي	علوم	باريس	AEMANF	PPA/MTLD
بن تامي بلقاسم	طب	مونبليه	AEMANF	Fédération des élus indigènes
بوحلاب عمر	طب	باريس	VGEMA	FLN
بولكروه موسى	قانون	باريس	AMENA	MTLD
شنتوف عبد الرزاق	طب	باريس	AMENA	MTLD
دباغين لمين	طب	باريس	AMENA	MTLD
دردور جمال الدين	طب	باريس	AMENA	MTLD
فرنسيس أحمد	طب	باريس	AMENA	MTLD
تيجاني هدام	طب	باريس	AMENA	VDMA
هجرس الصادق	طب	باريس	AMENA	FLN
حربي محمد	التاريخ	باريس	AMENA	PCA
طالب إبراهيمي	طب	باريس	AMENA	MTLD
كلاش عبد القادر	قانون	باريس	AMENA	MTLD
قارة محمد	قانون	باريس	AMENA	MTLD
حميتي محمد	طب	باريس	AMENA	FLN
الأمير خالد	الجيش	باريس	AMENA	Jeunes Algériens
الأشرف مصطفى	آداب	باريس	AMENA	MTLD
محروق إسماعيل	اقتصاد	باريس	VGEMA	FLN
رضا مالك	فلسفة	باريس	VGEMA	FLN

معمرى مولود	آداب	باريس	AMENA	FLN
يزيد محمد	قانون	باريس	AMENA	MTLD
صالحى محمد الشريف	فلسفة	باريس	AMENA	MTLD
مصطفى شوقي	طب	باريس	AMENA	MTLD
مصطفى صغير	قانون	باريس	AMENA	MTLD
معيزة صالح	طب	باريس	AMENA	MTLD
أوسديق عمر	طب	باريس	AMENA	MTLD

المرجع: كمال مازيغى، هجرة الجزائريين نحو أوروبا، المرجع السابق، ص 94

ملحق رقم (06):

جدول يوضح إحصائيات الطلبة الزيتونيين المُعاقبين من أجل نشاطهم السياسي

1. من سنة 1928 إلى 1931 :

السنة	عدد الطلبة	أسباب العقوبة	نوع العقوبات	المنطقة الأصلية لكل منهم
1928	16	- التظاهر في الطريق العام . - الشغب والتحريض على الإضراب . - تحرير المناشير والمعلقات .	- الاعتقال بموجب أحكام صادرة عن المحكمة العسكرية . - الطرد من الجامع . - الإقامة الجبرية خارج العاصمة .	مدن داخلية + سوسة وبنزرت
1929	12	- الشغب والتحريض على الإضراب . - تحرير العرائض والمناشير والمقالات . - عقد اجتماعات سياسية وتكوين لجان . - جمع التبرعات لفائدة الطلبة الموقوفين .	نفس العقوبات	مدن داخلية وبنزرت
1930	19 طالبا من بينهم الطاهر حداد	- التظاهر في الطريق العام ضد المؤتمر الأفخارستي . - التحريض على غلق الدكاكين والتحريض على الثورة . - أعمال الشغب والتحريض على الإضراب داخل الجامع .	تتبعات عدلية مع السجن بضعة أيام	العاصمة وداخل البلاد
1931	03 طلبة	- أعمال الشغب والتحريض على الإضراب .	الطرد من الجامع الأعظم والإقامة الجبرية في الجنوب	سوسة والكاف

المجموع: 44 طالبا مطرودين ومتتبعين عدليا أمام المحاكم الاستعمارية.

2. من سنة 1933 إلى 1939 م :

السنة	عدد الطلبة	أسباب العقوبة	نوع العقوبات	المنطقة الأصلية لكل منهم
1933	32 طالبا	-تكوين لجنة الدفاع عن الإسلام . -التحريض على الشغب والإضراب . -الانتماء إلى الحزب الدستوري توزيع المنشير.	- الطرد من الجامع - الإقامة الجبرية والمراقبة الإدارية	المناطق الساحلية والداخلية
1934	7 طلبة يضاف لهم بعض الطلبة الجزائريين والمغاربة	-القيام بأنشطة دستورية أثناء حوادث سبتمبر 1934 -تكوين شعبة دستورية بتالة -التورط في بعض الحوادث	- الطرد من الجامع . - الإقامة الجبرية 15 يوما سجن (4 طلبة)	03 من القيروان و10 من تالة، و03 من المكنين وقصر هلال
1935	12 طالبا	- إثارة الشغب والتحريض على الإضراب يوم 25 ماي بجامع الزيتونة . - القيام بالدعاية السياسية . - الانخراط في الحزب الدستوري .	-الطرد من الجامع والمدارس التابعة له -الإقامة الجبرية -سجن 03 طلبة -منع الطلبة من اجتياز الامتحانات	1 من سيدي بوسعيد 2 من الجري 1 من المنستير 1 من الساحلية
1936	66 تونسيا 20 جزائريا	- إثارة الشغب في الجامع . - القيام بنشاط في صفوف الحزب الدستوري الجديد . - التحريض على الإضراب عن الدروس . - التحريض على العصيان. - القيام بمظاهرة في الطريق العام (قفصة) .	-الطرد من الدراسة -الاعتقال وصدور أحكام بالسجن (ما بين 3 و10 أشهر + غرامة مالية) -الإقامة الجبرية	/
1937	22 منهم	- - تكوين لجان طلابية .	- الطرد من الجامع .	المناطق الساحلية

03 جزائريين	- التحريض على الإضراب عن الدروس . - إثارة الشغب . - تحرير اللائحة التي أمضاها سكان الكاف . - تكوين جمعية غير معترف بها ' الشبيبة الزيتونية' .	- الإقامة الجبرية والمراقبة الإدارية	والداخلية
1938	20 طالباً	- المشاركة في المظاهرات . - تحرير وتوزيع المنشائر المحرّضة على الإضراب . - تعليق منشورات على جدران المحكمة العسكرية . - الانخراط في الحزب الدستوري الجديد . - الدعوة إلى التمرد .	- نفس العقوبات - سجن 17 طالباً (عدة شهور) . /
1939	15 طالب	- تأسيس جريدة الهلال والتحرير بها . - إثارة الشغب والدعوة إلى الإضراب عن الدروس . - المشاركة في نشاط الحزب الدستوري . - وتحرير عرائض احتجاج على تعطيل الهلال.	- الطرد من الجامع الأعظم - الإقامة الجبرية في مناطق الجنوب - منع الإقامة بالعاصمة - السجن 02 من العاصمة والآخرون من الساحل والجريد والجنوب
المجموع: 174 طالباً			

3. أثناء الحرب العالمية الثانية:

السنة	عدد الطلبة	أسباب العقوبة	نوع العقوبات	المنطقة الأصلية لكل منهم
1940	14 طالب	- إثارة الشغب بالجامع - القيام بالدعاية عن طريق المعلقات والمناشير	- الطرد من الجامع. - الإقامة الجبرية.	الجنوب التونسي
1941	/	- إضراب لا نهائي عن الدروس (سنة بيضاء)	/	/
1942	04 طلبة	- إثارة الشغب . - القيام بأعمال مناهضة لفرنسا. - نشاط سياسي داخل الجامع وخارجه . - أعمال التخريب خاصة بالشبكات الكهربائية .	نفس العقوبات	الجريد
1943	1 طالب	- نشاط سياسي في صفوف الحزب الدستوري . - الدعاية ضد فرنسا .	-الطرد من الجامع. -السجن في أوت 1943.	/
1944	2 طلبة	- الدعاية السياسية بواسطة المناشير والمعلقات -توزيع صور المنصف باي	- الطرد الجامع. - السجن بضعة أيام والإقامة الجبرية.	تونس وسوسة
1945	6 طلبة	- نشر جريدة الهلال المحجورة وتوزيعها	- الطرد من الجامع. - 03 أشهر سجن، ثم الإقامة الجبرية.	02 من تونس
المجموع 27 طالب 04 من الجنوب				

المرجع: مختار العياشي، الزيتونة والزيتونيين في تاريخ تونس المعاصر، ص 265 - 271

قائمة

المصادر والمراجع

-القرآن الكريم

-أولاً- المصادر:

أ/ العربية والمُعَرَّبَة:

1. الإبراهيمي البشير، آثار الشيخ الإبراهيمي ، ج 2 (1940-1952)، ط 1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1997.

2. الإبراهيمي البشير، آثار الشيخ الإبراهيمي ، ج 3، ط 1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1997.

3. الإبراهيمي البشير، آثار الشيخ الإبراهيمي ، ج 4 (1952-1954)، ط 1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1997.

4. بن عاشور محمد الطاهر، أليس الصبح ب قريب - التعليم العربي الإسلامي، دراسة تاريخية وآراء إصلاحية، ط1، دار سحنون، تونس، 2006.

5. الأشرف مصطفى، الجزائر الأمة والمجتمع، تر: حنفي بن عيسى، دار القصة، الجزائر، 2007.

6. الثعالبي عبد العزيز، تونس الشهيدة، تروثق: سامي الجندي، ط1، دار القدس، لبنان، 1975.

7. جوليان شارل أندري، المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي، تر: محمد مزالي والبشير بن سلامة، ط2، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1985.

8. الحدّاد الطاهر، التعليم الإسلامي وحركة الإصلاح في جامع الزيتونة ، تق وتتح: محمد أنور بوسنينة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1981.

9. -----، ----، امرأتنا في الشريعة والمجتمع، تق: خالد محمد، موفم للنشر، 1992.

10. حسين محمد الخضر، تونس وجامع الزيتونة (الفقه، الشعر، الزيتونة، ابن خلدون، تراجم)، تح: علي الرضا، المطبعة التعاونية، سوريا، 1986.

11. حسيني حسن عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، ط5، الدار التونسية للنشر، تونس.

12. الزمرلي الصادق، أعلام تونسيون، تر: حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1986.
 13. -----،-----، تونس في عهد المنصف باي (1942-1943)، بين الرجاء والخيبة، تق وتر: حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1989.
 14. عباس فرحات، الجزائر من المستعمرة الى الإقليم -الشباب الجزائري- 1930، تر: أحمد منور، تق: أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 2007.
 15. -----،-----، ليل الاستعمار، تر: أبو بكر رحال، مُرّا: عبد العزيز بوباكير، دار القصبة، الجزائر، 2005.
 16. الفاسي علال، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي ، ط6، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، 2003.
 17. كافي علي، مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري (1946-1962)، دار القصبة، الجزائر، 1999.
 18. المدني أحمد توفيق حياة كفاح (مذكرات) ، ج1، في تونس (1905-1925)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
 19. -----،-----، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2001.
- ب/ الأجنبية :

1. Ben Youcef ben khedda, **Les Origines du 1^{er} novembre**, Editions Dahlab , Alger.
2. **Bulletin officiel de L'enseignement public** , janvier 1910, N°:1, Imprimerie française, Tunis.
3. Direction de L'Agriculteur du commerce , **Notice sur la Tunisie**, Imprimerie général ,Tunis ,1899.
4. G. le beau, **Exposé de la Situation général de L' Algérie en 1936**, ancienne Imprimerie , Victor Heintz, Alger ,1937.

ثانياً- المراجع:

أ/ العربية والمعرّبة:

1. أجرون شارل روبير، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919، ج2، تر: م حاج مسعود-ع بلعربي، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007.
2. برفيلي غي، النخبة الجزائرية الفرانكفونية (1880-1962)، تر: م حاج مسعود، أ بكلي، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007.
3. بلقريز عبد الإله وآخرون، الحركة الوطنية المغربية والمسألة القومية (1947-1986) محاولة في التاريخ، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 1992.
4. بن الخوجة محمد الحبيب، شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور ، الدار العربية للكتاب، تونس، 2008.
5. بهي الدين محمد سالم، ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير ، ط1، دار الشروق، مصر، 1999.
6. تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
7. الجابري محمد الصالح، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس (1900-1962)، الدار العربية للكتاب، تونس، 1983.
8. حمّادي عبد الله ، الحركة الطلابية الجزائرية (1871-1962)، مشارب ثقافية وايدولوجية، ط2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995.
9. خالد أحمد، أضواء من البيئة التونسية على الطاهر الحدّاد ونضال جيل ، ط3، الدار التونسية للنشر، تونس، 1985.
10. د، رفوبليكوف وآخرون، تاريخ الأقطار العربية المعاصر (1917-1970)، ج2، دار التقدم، موسكو، 1976.
11. زروقة عبد الرّشيد، جهاد ابن باديس ضدّ الاستعمار الفرنسي في الجزائر (1913-1940)، ط1، لبنان، 1999.

12. زوزو عبد الحميد، الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين (1919-1939)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
13. سعد الله أبو القاسم، أفكار جامحة، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 2005.
14. -----،-----، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، (1930-1900)، ط4، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992.
15. -----،-----، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، (1945-1930)، ط4، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992.
16. شترة خير الدين، إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية (1939-1900)، دار البصائر، 2009.
17. الشريف البشير بن الحاج عثمان، أضواء على تاريخ تونس الحديث (1881-1924)، ط1، دار بوسلامة للطباعة والنشر، تونس، 1981.
18. الشريف محمد الهادي، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تر: محمد الشاوش ومحمد عجيبة، ط3، دار سراس، تونس، 1993.
19. عبد الله الطاهر، الحركة الوطنية التونسية (1830-1956) رؤية شعبية قومية جديدة، ط1، دار المعارف، تونس.
20. عقيب محمد السعيد، دور الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين خلال ثورة التحرير (1955-1962)، مؤسسة كوشكار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.
21. العياشي مختار، الزيتونة والزيتونيون في تاريخ تونس المعاصر (1883-1958)، مركز النشر الجامعي، تونس، 2003.
22. الغالي بلقاسم، من أعلام الزيتونة -شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره، تونس.
23. القصاب أحمد، تاريخ تونس المعاصر (1881-1956)، تر: حمّادي الساحلي، ط1، تونس، 1986.

24. لونيبي رابح، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف (1920-1954)، ط1، كوكب العلوم للنشر، الجزائر، 2009.
25. مازيغي كمال علي وعبد اللاوي حسن، هجرة الجزائريين نحو أوروبا، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954.
26. مجموعة من الأساتذة، تونس عبر التاريخ -الحركة الوطنية ودولة الاستقلال ، ج3، تونس، 2005.
27. المحجوبي علي، جذور الحركة الوطنية التونسية (1904-1934)، تر: عبد الحميد الشابي، بيت الحكمة، تونس، 1999.
28. مراد علي، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر من 1925 إلى 1940، بحث في التاريخ الديني والاجتماعي، تر: محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، 2007.
29. مناصرية يوسف، الإتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية مابين الحربين العالميتين (1919-1939)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.
30. منصوري أحمد، صدى الطلبة الجزائريين في الثقافة والكفاح المسلح 1934-1962، ط1، مطبعة مزوار، الجزائر، 2003.
31. النيفر أروى، الشيخ محمد الصالح الثيفر حياته وآثاره، ط1، دار لبنان، 2005.

ب/ الأجنبية:

1. Benjamin Stora -zakya Daoud, **ferhat abbas**, une autre Algérie, GASBAH éditons , Alger,1995.
2. Mustpha kraiem ,**Mouvement national et Front populaire –La Tunisie des années trente** ,tome 2, Imprimerie officielle de la république tunisienne,1996.
3. René gallissot ,**mouvement ouvrier, communisme et nationalismes dans le monde Arabe** ,les Editions ouvrières ,paris ,1978.
4. Tayeb bellola ,**Les Algériens en France** ,Editions nationales algériennes ,Alger.

ثالثاً- المذكرات والأطروحات:

أ/ العربية:

1. بالعجال أحمد، الخطاب الإصلاحي عند الشيخ محمد السعيد الزاهري ، (رسالة ماجستير) مخطوطة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005-2006.
2. تاجي اسماعيل، مولود قاسم نايت بلقاسم نضاله السياسي ونظرته للهوية الجزائرية (1927-1992)، (مذكرة ماجستير) مخطوطة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006-2007.
3. حداد أحمد، الشيخ أحمد حمّاني وقضايا عصره (1333-1419هـ-1998م)، (مذكرة ماجستير) مخطوطة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008.
4. عواريب لخضر، جمعية طلبة شمال أفريقيا المسلمين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية (1927-1955)، (مذكرة ماجستير) مخطوطة، جامعة الجزائر، 2006-2007.
5. فلاحي رابح، جامع الزيتونة والحركة الإصلاحية في الجزائر (1908-1945)، (رسالة ماجستير) مخطوطة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006-2007.
6. قرشي محمد، الأوضاع الاجتماعية للشعب الجزائري منذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلى اندلاع الثورة التحريرية الكبرى 1945-1954، (مذكرة ماجستير) مخطوطة، جامعة الجزائر، 2001-2002.
7. مريوش أحمد، الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في القضية الوطنية وثورة التحرير 1954، (مذكرة دكتوراه) مخطوطة، جامعة الجزائر، 2005-2006.
8. معيزة عز الدين، فرحات عباس والحبيب بورقيبة- دراسة تاريخية وفكرية مقارنة (1899-2000)، (رسالة دكتوراه) مخطوطة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010.

ب/ الأجنبية

1. haggui Jamel, Les Algériens Originaires du sud dans la ville du Tunis , pendant L'époque colonial (1881-1956), (Mozabites, souefas, et Ourglias), mémoire de DEA, Université de Manoba ,Tunis, 2003-2004

رابعاً: المجلات والجرائد:

أ/ العربية:

1. دورية كان التاريخية، العدد 12، لبنان، جوان 2011.
2. مجلة أول نوفمبر، العدد 43، الجزائر، 1980.
3. المجلة الزيتونية، المجلد 1، الجزء 4، تونس، ديسمبر، 1936.
4. -----، المجلد 2، الجزء 3، تونس، ديسمبر، 1937.
5. مجلة إسلامية المعرفة، العدد 44، لبنان، 2006.
6. جمعية العلماء المسلمين، سجل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الثالث سنة 1935، دار المعرفة، الجزائر، 2008

ب/ الأجنبية:

1. Alger Etudiant, N°92, 10 février 1929.

رابعاً- المقالات وأعمال الملتقيات:

أ/ العربية:

1. بن محمود محمد المختار: "المدارس القرآنية"، المجلة الزيتونية، المجلد 2.
2. -----: "في جمعية الشبان المسلمين" -----، -----.
3. ----- "جامع الزيتونة من أقدم الكليات العلمية في العالم وأكثرها إنتاجاً، فما هي مهمته وهل هو قائم بها"، المجلة الزيتونية، المجلد الثاني.
4. الخليفة عبد الرحمان، "محمد عبد العزيز الثعالبي -سيرة المجاهد والمصلح الإسلامي"، مجلة إسلامية المعرفة.
5. طبابي حفيظ: "صراع الهوية: الزيتونة والزيتونيون في معترك النضال الوطني والاجتماعي" أعمال الندوة 11 حول الزيتونة: الدين والمجتمع والحركات الوطنية في المغرب العربي، المنعقدة بتونس أيام 5-6 ماي 2002، تونس، 2006.
6. مرحوم علي: "الذكرى 15 لوفاة الشيخ الإبراهيمي"، مجلة أول نوفمبر.

7. الكعّاك عثمان " مشكلة المرأة التونسية من حيث التربية والتعليم، وآراء المفكرين فيها "،
المجلة الزيتونية، المجلد 1.

8. نونو إيمان محمّد ، "دور زعماء الإصلاح تجاه المرأة في الجزائر في العصر
الحديث"، دورية كان التاريخية.

ب/ الأجنبية:

1. Sadok zmerli, "L' instruction de la femme musulmane—ce qu'elle doit être"
,congrès de L'Afrique du nord tenu du 6au 10 octobre 1908.
2. Habib Blaid" la vie associative autour de la zitouna pendant période coloniale",
**actes XI ème colloque international autour la zitouna: religion sociétés et
mouvements nationales au Maghreb**, 5et6 mai 2002 Tunis, 2ème Edition,
Tunis 2006.
3. M, khairallah , "L'enseignement primaire des Indigènes en Tunis", **,congrès de
L'Afrique du nord tenu du 6au 10 octobre 1908**, Tome 2 ,paris ,1909 .
4. Hassan remoun, "les lettrés et les politique algériens et la France, les étapes d'un
regard", Oran , automne 1996
5. Lasram Mohamed , "La khaldounia A Tunis", **congrès de L'Afrique du Nord...**

الفهرس

فهرس المحتويات

الصفحة	المحتويات
	شكر وعرفان
5-1	مقدمة
23-6	المدخل : الوضع التعليمي بالجزائر وتونس خلال النصف الأول من القرن العشرين (1900-1950م)
7	أولاً- الجزائر
16	ثانياً- تونس
21	المقارنة
61-24	الفصل الأول: الحركة الطلابية بالجزائر وتونس عوامل ظهورها وأهم اتجاهاتها
31-24	المبحث الأول: عوامل وظروف ظهور الحركة الطلابية
48-32	المبحث الثاني: أهم التنظيمات الطلابية
58-49	المبحث الثالث: مشاربها واتجاهاتها الفكرية
61-59	المقارنة
100-62	الفصل الثاني: النضال الطلابي وموقف الاستعمار منه
74-62	المبحث الأول: مواقف الحركة الطلابية من الوضع الثقافي والاجتماعي ببلدانها
90-75	المبحث الثاني: الدور السياسي للحركة الطلابية
97-91	المبحث الثالث: موقف الإدارة الاستعمارية من النشاطات الطلابية
100-98	المقارنة
104-102	الخاتمة
117-105	الملاحق
126-118	قائمة المصادر والمراجع
127	الفهرس